جامعة زيان عاشور الجلفة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم علم النفس و الفلسفة

تخصص : فلسفة عامة

عنوان المذكرة : ***البعد الفلسفي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي***

مذكرة مكملة لنيل شهادة (الماستر)

إعداد الطالب: إشراف الأستاذ:

بناجي فرادي أ.د محمد بومانة

لجنة المناقشة:

1. أ.د ميلود طيبي رئيسا
2. أ.د محمد بومانة مشرفاو مقررا
3. أ.د حمدان بوصلحيح مناقشا

السنة الجامعية:2024/2023

شكر :

ـ الشكر موصول إلى كل أساتذة القسم لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، قسم الفلسفة ، جامعة الجلفة ، كل باسمه وبما بذله جهدا في تعليمنا بمقتضيات الاختصاص الفلسفي . وإلى الطاقم الإداري على تواضعهم ، وحسن معاملتهم وخدمتهم للطالب بكل يسر ومحبة واحترام .

ونخص بالذكر رئيس القسم الدكتور البروفيسور : **ميلود طيبي** ، الذي يشعرك بالأمان والطمأنينة دون أن يتحدث معك .

ـ والشكر لكل من الدكتور **يوسف بوراس** ، بقسم الفلسفة جامعة المسيلة .

وأخي **الدراجي بويعاية** ، بقسم العلوم الاجتماعية جامعة المسيلة .

على حرصهم على مواصلة الدراسات العليا.

وأخي الحبيب الأستاذ، **سالم الربيع** ، الذي يحرص دائما أن أكون في الطليعة.

شكر خاص:

وأخص بالذكر **الأستاذ المشرف الدكتور محمد بومانة** ، الذي كان وراء الفكرة من خلال مقياسه وتخصصه فكر جزائري ، فالفضل كل الفضل يعوده لشخصه الكريمة ، على أمل أن يكون عملنا في حسن ظنه ..

مقدرين لتواضعه وترفقه وإشرافه الجميل وثقته في ما تم عمله في هذه الرسالة المباركة .. على أمل أن نستثمر في فكره وخبرته فيما هو قادم .

احتراماتنا للجميع.

عرفان :

بمناسبة مناقشة مذكرة الماستر التي تحمل عنوان : **البعد الفلسفي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي .** أتقدم بأجمل عبارات الشكر والعرفان للجنة المناقشة ، شاكرا لهم ، جهدهم ووقتهم ونصحهم وانتقاداتهم ، التي توقظ الطالب من سباته ، ليعطي الاختصاص الفلسفي حقه وحرمته المعرفية والمنهجية والفكرية .

وهنا نقترح :

1ـ مناقشة تجريبية قبل الموعد ، على الأقل طالب واحد في كل قسم .من أجل التقليل من الأخطاء يوم الحسم .

2ـ نخصص جائزة لمن إلتزم بتوجيهات اللجنة المناقشة ، حتى نخلق ثقافة المتابعة ، ونعط للعمل هيبته ومصداقيته .

ويكون شعارنا : إذا لم يكن التعديل من أجل جلب المحاسن ، فعلى الأقل من أجل التقليل من المساوئ.

إهداء :

أهدي عملي هذا إلى أخي الإمام الأستاذ : **محمد الأمين جقام**

الذي تكفل بي ماديا ومعنويا .. من أجل توفير الضروف المناسبة ، لإخراج هذا العمل المتواضع ، جعله الله في ميزان حسناته ، وأكرمه الله بالصحة والهناء.

وأهديه **إلى أمي الحبيبة** التي بدعواتها عدت مرة أخرى للجامعة .

وأهدية **لزوجتي الحبيبة السيدة إلهام** ..التي صبرت علينا كثيرا في سبيل التفرغ لمذكرة التخرج.

وأهديه **لولدي نور عيني وبهجة حياتي** : **جواد ومرتضى** .

وأهديه **للطالب فتحي ويس** لمساعدته في حل مشكلة وورد الكتابة متمنيا له النجاح في شهادة البكالوريا ..

وأهديه للدكتور **بن جدو محمد** الذي بفضله دخلت إلى جامعة الجلفة.

أما الإهداء الخاص والأكبر فلن يكون إلا ***للمفكر المرحوم مالك بن نبي*** الذي اهتداني الله لفكره من خلال قراءة ما تيسر من فكره ، على أمل أن يكون فهمنا منسجما مع ما يدعوا إليه . من خلال نظريته للثقافة .

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات }

[المجادلة ـ 11 ـ]

مقدمة

مقدمة:

فعل مالك بن نبي الكثير في عقولنا وقلوبنا ، ولهذا كانت من الأمنيات المؤجلة هي مشروع قراءة كتب مالك بن نبي ، وذلك لأنه استقر في ذهننا بإرادتنا أو بفعل فاعل، خاصة أولئك الذين يحملون صفة أوصياء على الفكر بأنها تحمل أفكارا صعبة وأن مادتها مكثفة ، وأنه ليس من السهل بمكان اقتحام ميدانها ؛ إلا إذا تم التمهيد لفك شفرتها ، وفهمها عبر بوابة الدراسات والندوات والملتقيات ، ومن خلال القراءات التفاعلية في نوادي القراءة التي تساهم في الاقتراب من فكر الرجل ومساهماته الثقافية والحضارية والفلسفية والفكرية ..

وللأمانة الأمر لم يكن قاصرا على هذه الشخصية العملاقة ، بل تعداه إلى كل كتاب فكري فلسفي، يشعرنا بالجفاف والملل ووجع الرأس، وكأننا نقرأ في طلاسم أو الدوران في حلقة مفرغة نشعر من خلالها بمضيعة الوقت ، وعدم التقدم في مسيرتنا التعليمية والثقافية والفكرية..

وكثيرة هي الحالات التي نعود فيها إلى منطقة الراحة ، وقراءة ما يجلب لنا المتعة وبها نحقق اللذة الآنية ، دون أن تكون لنا الشجاعة في التوقف عن هذا النزيف للجهد والوقت ، والمبدد بامتياز للتحصيل العلمي ، والاستعراض الوهمي في أننا من جموع المثقفين ، وقد ندخل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من الأدعياء كما وصفها مالك بن نبي ، إلى أن أكرمنا الله – بعد هذا العمر - الدخول إلى قسم الفلسفة التي

دخلت لها من بوابة : جذع مشترك علوم اجتماعية ، بنية الاختصاص في الدراسات العليا : علم الاجتماع الثقافي .

وذلك حتى يسمح لي – هذا الاختصاص- من تناول بحثي الذي اشتهرت به في الساحة العلمية والملتقيات الوطنية ألا وهو : ***(مشكلة الألقاب العائلية في الجزائر)*** ، وبقدر ما تم التوفيق في الحضور لبعضها من خلال انتحال صفة الباحث -على أمل أن يتوب علي الله- بقدر ما تم حرماني من أكثرها ، لأني لا أحمل الصفة اللقبية الأكاديمية، وبيني وبين نفسي أعرف أن هناك نضالا ينتظرني في دراسة المنهجية ، والاقتراب من البحث العلمي في الحرم الجامعي .

إلا أن كلمة رئيس قسم الفلسفة بجامعة المسيلة ، كان لها وقعا كبيرا في قلبي ، حيث تم في اليوم الدراسي والتوجيهي لاختيار الاختصاص الذي يرافقنا في مسيرتنا الجامعية في آخر لحظة أن أشق طريقي إلى السيدة الفلسفة ، اقتناعا بكلماته بأهمية الاختصاص في الحياة العملية والاجتماعية والشخصية ، من خلال تنصيب نفسه سفيرا للقضية الفلسفية ، لا يختلف دفاعه المستميت عنها كما فعل نظرائه بالمقابل

تسويقا وترويجا لمستقبلية اختصاصاتهم ، في علم الاجتماع وعلم النفس ومن أشار إلى الأرطوفونيا و الأنثروبولوجيا..كل يمدح ويغني بليلى اختصاصه ،

وإن كانت كل الاختصاصات تشتكي حظها من البطالة ، فإن اختياري للفلسفة يؤنسه قول عمر بن الخطاب : (لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر شيئا ، إن فاتني ربحه ما فاتني ريحه.)

وأحسبها من فضائل الأقدار ، حتى يمتحن المرء في مقدراته العقلية ،ويكون له شيئا من روح المنطق السليم في أحكامه، والدخول إلى الميدان الفكري من أوسع أبوابه

ولأن الطرح الأكاديمي هذب فينا الشيئ الكثير ، من خلال احترام المنهجية العلمية ، والتقيد بأصول البحث العلمي ..

فإن أستاذنا في (المنطق وفلسفة العلوم) ، ساهم في شخصي في أن أبتعد عن العبارات الفضفاضة ، ولا مانع أن أقر بأنه كان له الفضل في أن أنتبه إلى رعوناتي ، التي كنت أظن أنها من صميم التميز الأدبي والثقافي ، فكثير ما كان ينبهنا إلى ضبط المصطلحات.

وفي **استحضاري** لبعض المشاهد ، التي أخذت طريقها لاختيار هذا العنوان الموسوم ب :(***البعد الفلسفي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي***)، الذي تلقيت فيه شيئا من المجاملة والإشادة ممن تشرفت بالتواصل معهم ، بأنه يصلح إن كان صاحبه كفؤا مشروع دكتوراه ، وفي نفس الوقت تلقيت شيئا من نصحهم الفعال بأن أخرجه

بالشيء الذي يتيسر ، حتى لا استغرق في بحره العميق ، وشعارنا : (خذ ما تيسر واترك ما تعسر إلى أن يتيسر).

ومن جملة ذكرياتي في الدراسة للمشهد الثقافي الفلسفي ، أنه في السنة الثانية ليسانس ، في مقياس فلسفة العلوم ، اخترت بحثا عنوانه قراءة لجزء من كتاب فلسفة الكوانتم وما أدراك من الكوانتم ، فبعدما اطلعت على الكتاب بعنوان : (فلسفة الكوانتم) من خلال الاكتفاء بجزئه الأول بعنوان < الميراث > الذي تناول فيه كلاسيكية كلا من المنطق والفيزياء والرياضيات ، وجزئه الثاني بعنوان <التشظي> ، الذي تناول فيه الرياضيات الصورية والفيزياء الصورية .والذي جاء على صفحته الخارجية :

(هذا الكتاب : إنه استعراض ممتع ...عميق وشامل لتاريخ الفلسفة والمنطق والرياضيات والفيزياء ، يعلمنا كيف أن العلم والفلسفة يمثلان وحدة معرفية متكاملة ، فلا يفهم أحدهما حق الفهم دون الآخر .ويسفر هذا عن أسس مستقبلية جديدة لنظرية المعرفة التي تستطيع أن تفسر لنا كيف يمكننا ، نحن البشر أن نفهم صميم العالم

الذي نحيا فيه ونعايشه بحسنا المشترك الذي لا يمكن أبدا التهوين من شأنه ، وهو منطق وجودنا في هذا الكون أصلا .)

ولكن الأهم أو قل سبب هذه الذاكرة وربطها باختيار عنوان رسالتي ، هو تصدير المترجمين بالقول : (سوف يثبت كتاب " فلسفة الكوانتم " أنه مرجع أساسي لمقررات مثالية في فلسفة العلم وتاريخه ، وأنه رفيق لا غنى عنه لكل **مثقف معني بالفلسفة،** أو بالعلم أو بفلسفة العلم في تطوراتها الراهنة والمستقبلية.)

(... ونرجو أن نرتفع بأطروحات فلسفة العلم والتفكير العلمي والثقافية العلمية في العالم العربي إلى آفاق أعلى وأرحب .) المترجمان .

كما جاء في كتاب فلسفة الكوانتم في جزئه الثاني الذي يحمل عنوان التشظي: (صفوة القول إنه كلما صارت معارفنا أكثر وأكثر ، بدا أن ما نفهمه أقل وأقل) وهذا السطر إذا صدقت علميته فإن القائل ساخرا من هذه الأجيال التي لا تقرأ، كونه لو كان معاصرا لها من خلال وفرة الكتاب الإلكتروني البيديافي ، لحقق بدل الشهادة الواحدة مجموعة من الشهادات ، لكان لنا القول الحازم بالقول له: اكتفاؤك بالشهادة الواحدة تمكينا يؤهلك في غرس فضيلة محبة أهل العلم ومحبة المعرفة ، كسلوك حضاري أكرم لكم من تعددها دون أن تقابلها الثمرة المرجوة ، و السعيد من وضع فيه مساهمته - لهذا السلوك الحضاري - نصرة لدينه ووطنه وأمته وأبنائه الطلبة...

وفي سبيل عرضي الشواهد التي دعتني إلى اختيار هذا العنوان (**البعد الفلسفي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي**) فإنه في السنة أولى ماستر من خلال مقياس أستاذي المشرف **الدكتور بومانة محمد** " **فكر جزائري** " وجهني إلى اختيار بحث في الثقافة الجزائرية .. **وهنا بدأت رحلتي الحقيقية لهذا العنوان** ، فمن خلال التركيز على

نظرية الثقافة لمالك بن نبي ، كنموذج للثقافة الجزائرية ، وذلك بعد قراءة لكتاب مؤلفه زكي الميلاد ، بعنوان المسألة الثقافية ، من أجل بناء نظرية في الثقافة.وتبق إشارة أحد الدكاترة بقسمنا بأن مالك بن نبي فوق كونه مثقف وفيلسوف الحضارة فهو رجل موسوعي ، حيث كنت أظن أن موسوعية المفكرين لا تتقاطع مع قوتهم الفكرية ، ولا يمكن أن يحوز أحدهم على شرف الجمع بين الفكر الموسوعي وأصالة وعبقرية الفكر نفسه ..

هذا ولي تجربة مخزنة في أرشيف ذكرياتي ، حيث قرأت كتابا بشيء من العمق والتأثر بعنوان : الثقافة ومآسي رجالها للدكتور محمد بن عبدالكريم الجزائري ، قبل دخولي للمرحلة الجامعية ، ولا زلت أذكر منه تعريفه للثقافة بأنها :(نضج في العقل ووعي في القلب ، واستقامة في السلوك وإرهاف في المشاعر .) واختصارها : (حذق في الأشياء علما وعملا .)

ولكن هناك محطة لها الفضل الأكبر في التكوين الفلسفي وفي اختيار هذا العنوان الثقافي ، وهو ما ترتب على أزمة **كورونا العالمية** ، والتي أخرجت الجامعة من ثوبها الكلاسيكي نهائيا ، وأحدثت معها ما يسمى بالقطيعة التربوية التعليمية في شكلها التقليدي ، وأضحت دراستنا عن بعد من خلال ***منصة التعليم*** ، والذي سيجد فيه الطالب كل المقررات الدراسية لجامعته وللجامعات الأخرى ، وفي فترة قريبة كنا نجد صعوبة في التواصل مع الأستاذ المدرس في طبع محاضراته والوصول لها بذلك النسق والجمال والاعتناء والتفصيل والدقة والموضوعية، أما الآن فلنا حتى الخيارات وهذا الأمر بقدر ما ألحق بعض الأضرار للطالب الذي لا يعرف أخذ المعلومات إلا بالحضور، بقدر ما أفاد من كان بذهنه حاضرا ، معتمدا على صيد سمكه بيده ، وكلما غاصت شباكه في الأعماق والتجول على المنصات ، بقدر ما

يقترب من المشهد الفلسفي رؤية واختصاصا ..حتى أساتذة القسم تجدهم في حيرة من أمرهم كيف يختزلون مقاييسهم للسداسيين في بضع حصص ، ما يجعلهم

مضطرين ، وهذا الاضطرار ينسجم مع اختياري لهذا العنوان ، من خلال سعيهم في ممارسة ما يسمى بالعصف الذهني ، لجلب أبرز الأفكار في قالب ثقافي ، أكثر منه قالب تعليمي يخضع لمسطرة المنهجية والبحث الأكاديمي الصارم في روحه .

أما دراستنا لهذه المذكرة فتشتمل في عمومها الاقتراب من نظرية الثقافة لمالك بن نبي ، وتقاطعاتها مع الأبعاد الفلسفية : أخلاقيا وجماليا وعمليا وصناعيا.كعامل فعال لقيام مشروعه الحضاري والثقافي والفكري ، مستفيدة من الفكر الغربي تفتحا وضرورة ، ومتمسكة بالفكر العربي أصالة وتوازنا ...

وقد استعملنا في بسط نفوذها وحجاجها وتنظيرها ومقوماتها ، المنهج التحليلي كضرورة منطقية في عرض مساراتها ، واستعملنا معه بالضرورة لمسات نقدية يفرضها الحس التفلسفي والجدل الفكري .

وللإجابة عن عناصر مشكلة نظرية الثقافة عند مالك بن نبي ، وبعدها الفلسفي ، ***نطرح الإشكالات التالية*** :

ماهو الجدل الثقافي والفكري وخاصة الديني الذي أحدثته شخصية مالك بن نبي ؟ وماذا نعني بالثقافة وما هي المشاكل المحيطة في تعريفها؟ وكيف تم التوصل لمالك بن نبي تنظيرا لهذة النظرية الثقافية ؟ وماهي عناصرها ؟ وما مدى تقاطع فصولها الأربعة مع الأبعاد الفلسفية ؟ وما هي الأهداف المرجوة من هذه الفصول على مستوى الأفراد وعلى السلوك الحضاري؟

وفي سبيل تحقيق هذا المراد ، تم تقسيم الرسالة إلى مقدمة وثلاثة فصول ، اجتهدنا على قدر الاستطاعة أن تكون متوازنة ، وتكون في مجملها منسجمة مع العنوان، وكانت معنونة بهذا الشكل :

مقدمة،

الفصل الأول : جدل البعد الفلسفي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي .

ويتضمن مبحثين :

رقم 1- شخصية مالك بن نبي والجدل الذي أخذته في الوسط الفكري والفلسفي والثقافي – جدل المرجعية الدينية الإسلامية نموذجا - .

رقم 2– مشكلة مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي وعند غيره ، والمشاكل المحيطة بها

الفصل الثاني : البعد الفلسفي الأخلاقي والجمالي في نطرية الثقافة لمالك بن نبي .

ويتضمن أربعة مباحث :

رقم 1- علاقة فلسفة الأخلاق بالمشهد الثقافي .

رقم 2- التوجيه الأخلاقي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي.

رقم 3- علاقة فلسفة الجمال بالمشهد الثقافي .

رقم 4- المبدأ الجمالي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي .

الفصل الثالث : البعد الفلسفي العملي والصناعي [اليومي] في نظرية الثقافة لمالك بن نبي .

ويتضمن أربعة مباحث :

رقم 1- علاقة فلسفة العمل بالمشهد الثقافي .

رقم 2- المنطق العملي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي .

رقم 3- علاقة فلسفة الصناعة واليومي بالمشهد الثقافي .

رقم 4-الجانب الصناعي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي.

ولانجاز هذا البحث استعنا بالمصادر والمراجع ، وكانت الأولوية بعد قراءة ما تيسر من كتب مالك بن نبي ، تلك المرتبطة بالمشهد الثقافي في عمومها ، وكتبه التي تتحدث على نظرية الثقافة من خلال مصدرها الأساسية ،

1= مشكلة الثقافة. 2=شروط النهضة.

3= ميلاد مجتمع 4= بين الرشاد والتيه

5= وكتبه الأخرى التي اكتفينا بالعودة إلى فهرستها ، بحثا عن إشارة تساعدنا في المشهد الثقافي الداعمة لنظريته ، وستكون بدورها دعما لما سيساعدنا لكتابة هذه المذكرة.

بالإضافة إلى الدراسات في شكل كتب ومجلات ومقالات وندوات وحوارات وبعضا من المواقع تتحدث عن صميم ما نحن بصدده في الحديث عن الأبعاد الفلسفية في نظرية الثقافة لمالك بن نبي ، والإستفادة من منصات التعليم عن بعد لمختلف جامعات الوطن ..مع استحضار ما يمكن أن نستأنس به دعما لرسالتنا وكلنا تركيز على النقطة المركزية للتجاوب مع الإشكالات المطروحة .

وبالنسبة للأهداف المرجوة تحقيقها في هذه المذكرة :

1) هدف الاقتراب من الحقل الفلسفي ، من خلال نظرية الثقافة لمالك بن نبي .
2) هدف الاقتراب من الحقل البنابي من خلال قراءة الكتب التي لها علاقة مباشرة بنظرية الثقافة .
3) هدف مباشر من خلال الاقتراب من فصول النظرية ، ومعرفة مرامي وأبعاد كل فصل .
4) امتلاك المرونة اللازمة التي بها نتقبل النقد ، لتعيدنا لصوابنا كلما خرجنا عن إطار الاختصاص .

وبالنسبة ***للصعوبات*** كانت :

الصعوبة في كون الموضوع في أصله مفتوح بإشكالاته ، حيث لا يخلو كتابا للمفكر نفسه إلا ووجدته مهوسا بالمشهد الثقافي ، وفوق هذا أضفنا له تقاطعاته مع المشهد الفلسفي التي تجدنا في هذه الرسالة أمام جمع من المقاييس ، كل فصل

يشكل كتابا قائما بذاته ، وإذا كان كما يقال من الصعوبة بمكان إرضاؤهم جميعا ، فإننا حاولنا أن نرضي فضولنا الفكري وعيننا على النقطة المركزية من خلال فصول نظرية الثقافة .

وهناك صعوبة يسميها مالك بن نبي تجمع بين الاستسهال والاستصعاب .. وهذه لعمري واحدة من الآفات التي تصيب كل من يزعم بأن الشيئ الذي اختاره تحت السيطرة ، إن لم يبذل فيه الغالي والنفيس ؛ من جهد وقراءة مكثفة ومن احتكاك نوعي بأهل الاختصاص ، الذين قد لا يتاحون دائما ، وإن تم الوصول لهم قد نكونوا نحن لسنا في حال يسمح بالتواصل معهم..

لا أخفيكم سرا أن هذه الرسالة على قدر تواضع سطورها ، والجهد السريع المبذول فيها لإخراجها بالشكل الذي يسمح لنا بأخذ فكرة مبدئية عن نظرية الثقافة لمالك بن نبي وبعدها الفلسفي، فإنها حفزتنا على الالتفات إلى مدخراتنا لإخراجها للنور.

وقد قال أحد الكتاب في هذا المقام :(المبدع الذي يصر على رؤية الوقائع بوضوح تام ، قبل اتخاذ القرار ، لا يتخذ أي قرار .)

الفصل الأول : جدل البعد الفلسفي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي

ويتضمن مبحثين :

رقم 1- شخصية مالك بن نبي والجدل الذي أخذته في الوسط الفكري والفلسفي والثقافي

ـ جدل المرجعية الدينية الإسلامية نموذجا - .

رقم 2– مشكلة مفهوم الثقافة

عند مالك بن نبي وغيره .والمشاكل المحيطة بها

المبحث الأول :

شخصية مالك بن نبي ، والجدل الذي أخذته في الوسط الفكري والفلسفي والثقافي – المرجعية الدينية الإسلامية نموذجا -

مالك بن نبي 1905-1973 ..من البداية لن أتحدث عن حياة مالك بن نبي بالشكل التقليدي الذي عهدناه في المجالس العلمية ، التي تختزل الرجال بعرض لا يلمس عمق أفكارهم ، ولا تستشعر بالجديد عند عرضهم لمسيرتهم ، لأن هذا الطريق بكل بساطة سيحرمنا من قطف الثمار الفكرية ، التي تحدث الفارق في حياتنا العلمية والعملية ، ومن الإبداعية في التميز .وربما هذا ما جعل ابن باديس الذي اختزلنا حياته بالتظاهرات الثقافية بيوم العلم، نتذكر من خلاله أن هناك شيئا اسمه المعرفة ، مكتفين في الغالب في التذكير بيوم ميلاده ويوم وفاته وبعضا من مساهماته نرددها كل عام دون أن يكون لها الأثر الذي تركه عندما سئل ذات يوم : لماذا لم تؤلف الكتب ؟ فكان رده : كنت مشغولا بتأليف الرجال . ولا يخف للجميع أن هذا النوع من الرجال ، هم من فجروا الثورة التحريرية المباركة التي من خلالها ننعم بهذا الاستقلال.[1]

وقد قيل الكثير في حق الرجل– مالك بن نبي- ، لكنني آثرت أن أبدأ**– بركة –** بهذه الشهادة التي تختزل شخصية ابن نبي،بأنه المفكر المثقف والعابدالإنسان.. يقول الأستاذ " فوزي حسن " في حق مالك بن نبي : (عندما سكنت معه في منزل

[1]- وإن كان استقلالنا منقوصا طالما أننا لم نأخذ مصالحة حقيقة مع هويتنا ولا أدل ما يتقاطع مع بحثي في مشكلة الألقاب التي تعد واحدة من المواضيع المسكوت عنها ، وهي تمارس الفعل المخل بالحياء بنا، بداية من رمزية تسميتها في الوسط الشعبي : نقمة ونكوة. وبنهاية جعلت قطيعة للتواصل مع أسماء آبائنا التي لا نعرف بها وهم مصدر وجودنا ..ولأنه ما بني عل باطل فهو باطل ، فإن النضال في هذا الباب سيكون له شأن كبير في الهوية والتاريخ والثقافة والفكر..

واحد وجدته في حالين اثنين : إما عابدا ، وإما مفكرا كاتبا . فإذا كان شباك غرفته مفتوحا فهو كاتب ، وإذا كان مقفلا فهو عابد سابح .)

ما يعطي الانطباع بأنه شخصيته ربانية[1]– وهو الحافظ لما تيسر من كتاب الله – ومنظمة في علاقتها مع الله التي تمده بالمدد، من خلال خلوتها وعزلتها لتمطر فكرا وتنظيرا ، شدت الانتباه مع العدو قبل الصديق..وقد تعمدت هذه البداية حتى يكون مبحثي منسجما مع نموذجية جدلية مرجعيته الإسلامية.لأن فيه من الكتاب والدارسين من يشككون في هذه المرجعية،[2] وحجتهم في ذلك مدى تأثره بالحضارة الغربية، وإقامته الطويلة بديار الغربة واختلاطه بالحياة الأوروبية من خلال إقامته الطويلة بفرنسا ..وهنا يجيبنا أحد طلابه وأصدقائه الأستاذ عبد السلام الهراس ، بعدما طرح عليه هذا السؤال : (كثير من المفكرين يشككون في مرجعيته الإسلامية ويقولون إن تأثره بالغرب جعله أقرب إلى العلماني منه إلى الإسلامي ، بحكم معرفتكم الدقيقة المعايشة له ولفكره . ماهي شهادتكم في هذا المجال)[3]

وكان الرد بالقول : (إن الرجل كان مطلعا على التراث الإسلامي ، مطلعا على القرآن ، مطلعا على الحديث ، كان يقرؤه بالعربية وبالفرنسية ، وكان له ارتباط ببعض العلماء في الجزائر ، وكان الصديق الشيخ عبدالله دراز ، وقدم له الظاهرة

---

[1]- وقد كان كثير الدعاء والتضرع (ياإلهي أنا لا أريد نصيبي في هذه الدنيا) وكم مرة ضاق به الأمر لحد مناشدة خالقه : (يا إلهي كأنك أخذت كلامي محل الجد فوق طافتي)

[2]- وقد اختلفت الرؤى في تصنيف مالك بن نبي ، انقسمت إلى ثلاثة أقسام : قسم معجب بأفكاره وثقافته وعبقريته كونه فيلسوف حضارة ، دون أن يعني هذا في الغالب أنهم وصلوا بدراستهم له درجة الفهم والفاعلية – مع أنهم يقرون بأنه ترك في نفوسهم الأثر البليغ إعجابا بتنظيراته. وقسم وهو الذي أحدث معه جدل وصل بالتشكيك في كفاءته ومرجعيته الإسلامية ، وقسم آخر لم يشيرون له لا من بعيد ولا من قريب وكأن فكره لا يشكل لهم الأهمية، مع شيئ من التعمد في ظل خوفهم ما يثيره في الشأن الثقافي والسياسي.

[3]- محمد البنعيادي : مالك بن نبي ، في ذاكرة عبدالسلام الهراس ، الجزائر ، الشاطبية، ، ط2، 2012.ص27.

القرآنية..)[1]

وبركة هذا الكتاب – الظاهرة القرآنية– الذي بدأ به مسيرته الفكرية والفلسفية والثقافية والحضارية ، وهذا الأمر ليس غريبا عن ابن نبي فقد كان يتحدث في مذكراته عن علاقته بالشيخ العربي تبسي ، وعن شدة إعجابه برئيس جمعية العلماء ابن باديس مكنا لهذه الجمعية الإصلاحية والتربوية كل الاحترام ، دون أن يمنعه ذلك من قول كلمته في الأوقات الحاسمة التي تخالف رجالاتها.. مبديا نصحه ومحذرا من المطبات – وما أكثرها – للسياسة الاستعمارية. وعبثهم السياسي وخداعاتهم فيما يزعمون لحقوق الإنسان ، وهم من جعلوا من الفرد الجزائري أنديجانيا (والأنديجاني : هو ذلك الإنسان الأهلي الأنديجاني ليس إنسانا ، ولكن إنتاج استعماري ، أي من صنع الاستعمار)[2]

وهنا (يرى ابن نبي أن المدرسة الإصلاحية نجحت على يد " محمد عبده " فيما قامت به ، من تجديد الأسلوب الأدبي بترك الرتابة والاهتمام بمواضيع حية

ومفيدة ؛ لكنها من حيث المنهجية والبيداغوجية ، ومواد الدراسة لم تتطور قيد أنملة ، ولم تخرج من العصور الوسطى المسيحية .)[3]

(لكن مالك بن نبي رغم إعجابه بابن باديس وما حققه من إصلاح ، يبق غير راض

عن نشاطه السياسي ، مقتنعا بأن الحركة الإصلاحية بالجزائر انحرفت عندما أدلت بدلوها مع السياسيين المحترفين ، فخانوها وأفرغوها من محتواها الثوري والعلمي ..)[4]

---

[1]- المرجع نفسه ، ص27.

[2]- مالك بن نبي : العفن : مذكرات ، تر: نورالدين خندودي ، الجزائر ، دار الأمة ، ط1، 2007 ، ص19.

[3] ــ محفوظ سماتي : **النخبة في فكر مالك بن نبي** ، مجلة رؤى(مالك بن نبي والمشروع الحضاري) ، السنة الرابعة ، العدد 20، السنة 2003،.ص88

[4] ــ المرجع نفسه ، ص89

يقول عنه الدكتور محمد العبدة في كتابه الموسوم : مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي . والعنوان يعطيه رمزية الريادة الإصلاحية مثله مثل الأفغاني ومحمد عبده وابن باديس وحسن البنا..

قائلا :(كان بن نبي من مؤيدي الحركات الإصلاحية ، وهو الكاتب المتميز الذي دخل أعماق مشكلة المسلم النفسية والاجتماعية والاقتصادية ، وأثار قضايا كثيرة مثل الحديث عن الدورة الحضارية ، ومسألة الحق والواجب ، والقابلية للاستعمار ، والفاعلية عند المسلم ..)[1]

والملفت للانتباه للذي حضي بقراءة كتب مالك بن نبي ، فإنه لا يخلو كتابا من الشعار الذي يعبر عن مرجعيته الدينية الحضارية الإنسانية وعلى الوجه الخاص الإسلامية في التعبير عن رؤاه الفلسفية وتعقيداتها على المشهد الثقافي والحضاري من خلال شعار الآية :

((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))- الرعد 11-

ويضيف عبد السلام هراس في شهادته قائلا :(أما ما كان يروجه بعضهم من أنه لم يكن يعرف شيئا عن الإسلام ، هذا غلط فادح، والذي قال هذا الكلام مسكين ، إما عنده شهوة ، وإما أنه لم يخالط مالك بن نبي حقيقة ..)[2]

يقول عنه الدكتور " أسعد السحمراني " من خلال كتابه مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا : (كان مالك غزيرا في انتاجه الفكري ، بعض مؤلفاته وضعت ككتب ،

---

[1] - محمد العبدة : **(مالك بن نبي ، مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي)** ، دمشق ، دار القلم ، ط1، 2006، ص7.

[2] - محمد البنعيادي : مالك بن نبي في ذاكرة عبدالسلام الهراس ، مرجع سابق ، ص33.

وبعضها مجموعة محاضرات نسقت قي كتب ، معظم ما كتبه بالفرنسية ، ومن ثم كان يستعين ببعض طلابه أو أصدقائه لتعريبها .)[1]

وهنا سنستعين بالتكنولوجيا لتخبرنا على أهم مؤلفاته بشيء من التسلسل الزمني :

= الظاهرة القرآنية 1946= شروط النهضة بالفرنسية 1948= وحدة العالم الإسلامي 1954= الفكرة الإفريقية الآسيوية 1956= فكرة كومنولوث إسلامي 1958=**مشكلة الثقافة 1959**=الصراع الفكري في البلاد المستعمرة 1959=تأملات 1961= في مهب المعركة 1962= آفاق جزائرية 1964= القضايا الكبرى= مشكلات الأفكار في العالم الإسلامي 1970= دور المسلم ورسالته 1972= بين الرشاد والتيه 1972

= المسلم في عالم الاقنصاد1972= ميلاد مجتمع = مذكرات شاهد القرن= العفن .

نكتفي بهذا القدر ، ونذكر أن القائمة أكثر من هذا العدد..

يقول" د. محمد شاويش" في كتابه : مالك بن نبي وشروط النهضة:

(في الحقيقة إن الذي يقرأ بن نبي ، وفي ذهنه منذ البداية طريقة الاتجاهات المعاصرة المسماة الاتجاهات الإسلامية ، قد يميل وهو يبحر في صفحات بعض

مؤلفاته إلى عده مجرد باحث اجتماعي ، أو باحث في فلسفة التاريخ ، كان من الممكن أن لا يكون أصلا باحثا مسلما . فكثير من نظرياته الاجتماعية والتاريخية صالحة لأن تقال في ثقافة أخرى مهما كان انتماؤه الديني)[2]

[1]- بشير ضيف الله : فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ،الجزائر ، داربن مرابط ، ط بد ، 2014 ، ص22/21.

[2]- المرجع نفسه ، ص34.

وقد سمعت لمالك بن نبي محاضرة في إحدى الفديوهات النادرة ، عندما تم تقديمه بصفته : الكاتب والمفكر وفيلسوف الحضارة والعالم الإسلامي ..فقاطعه بن نبي قائلا للمشرف على الجلسة العلمية : في الحقيقة يكفي أن تقول باحث اجتماعي .

وبدوره لخص المفكر مالك بن نبي حياته قائلا : (**إذا أردت تلخيص حياتي .. أعتقد أن المفهوم الأصلح الذي أراه ، هو طبيعة الحب الذي طالما حملته للصور السامية للحياة ، التي أوجزها في كلمة الحضارة)**

وفي موقع آخر يقول عنه "د. محمد شاويش" :(.. إذن هذا الواقع يفرض العودة إلى السؤال الحضاري ، سؤال الفاعلية ، سؤال النهضة ، وهذا هو سؤال بن نبي الذي لم يستمع إليه معاصروه جيدا ، لذلك فالزمان الآن زمانه.)[1]

وقد قال مالك بن نبي في كتابه ميلاد مجتمع :

(فالمشكلة التي نواجهها إذن ذات وجهين ، جانب اجتماعي ، وجانب نفسي ، وقد أرتنا أوجه التعارض السالفة ، أنه لكي تعالجها من كلا جانبيها ، يجب أن تكون لدينا فكرة عليا ، تصل ما بين الروحي والاجتماعي ، وتجري من جديد تركيب الشخص السليم المسلم ، بحيث يتماثل مع ذاته في المسجد وفي الشارع .)[2]

وقد جاء في كتاب تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي لمالك بن نبي ، بإعداد وتلخيص ، محمد عبدالعظيم علي : في فصل الطاقة الحيوية والأفكار ما ملخصه كقواعد :

- إطلاق الطاقة= تدمير للمجتمع .

---

[1]- المرجع نفسه ،ص48.
[2]- المرجع نفسه ، ص58.

- إيقاف الطاقة =تعجيز للمجتمع .

- التوسط في الطاقة= تعمير للمجتمع .[1]

ويضيف محمد عبدالعظيم على لسان مالك بن نبي قائلا: **(وعندما يظهر خلل في التوازن ، يميز هذه المرحلة غير السوية للجدلية في عالم الثقافة ، ويتم عن نوع من الإسراف أو الطغيان ، يكون في غير صالح النشاطات الاجتماعية .)**[2]

بل يتعداه إلى كل نشاطاتنا حتى أنه سئل أحد علماء الدين – المعتدلين- عن الأجر الذي يترتب عليه قيام الليل ، فقال لهم بفراسته : يكفيكم أن تصلون في النهار وتنامون بالليل .

ومما لا شك فيه استفادة من فكر مالك بن نبي ، فإن طغيان الأشياء والأشخاص على عالم الأفكار أو عن عالم الثقافة ، أن ذلك سيلحق بمجتمعنا وأمتنا الإسلامية أضرارا جسيمة على الصعيد النفسي والاجتماعي والأخلاقي والفكري والسياسي والحضاري وفي كل ميادين الحياة ...

وإذا كنا من الذين حفظوا بعض القواعد الحضارية لمالك بن نبي ، دون أن تكون لنا الفضولية المعرفية في الغوص في عالم أفكاره حتى تتجلى في السلوك الثقافي والحضاري ..

فإن الجميع يعرف شروط قيام الحضارة عند بن نبي التي تتطلب توفر ثلاثة شروط : الإنسان والتراب والوقت ..

---

[1]- محمد عبد العظيم علي : تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، القاهرة ، دارالدعوة ، ط1 ، 1997، ص27.

[2] - المرجع نفسه ، ص34.

وعلى وجه أدق : **(يقول مالك بن نبي : إن أي أمة لكي تنهض لا بد من توفر أربعة عناصر ، هي : الأرض أو التراب ، والإنسان ، والوقت ، والفكرة الناظمة أو العقيدة .)**[1]

(يرى بن نبي : أن المشكلة الحقيقية لدى الأمة في غياب الفكرة الناظمة = العقيدة = أو الفكرة الباعثة أو المولدة للنهوض .)[2]

(والعامل المهم في تركيب الشروط الثلاثة الأولى والمحاور المتممة للبناء هو الدين ، الذي يقوم بدور المزج والتفعيل حسب " ابن نبي " أو ما عبر عنه ب " مركب الحضارة " الذي ليس في الإمكان تغييبه ، أو تهميش دوره فهو ثابت ومؤكد .)[3]

وبالمقابل تقابله ا ثلاث محاور تتفاوت درجاتها في مفاهيمها واستعمالاتها واستحضاراتها وتوظيفاتها:

تكوين عالم الأشخاص / تكوين عالم الأشياء / تكوين عالم الأفكار/

(ويرى مالك بن نبي بحاجة إلى إعادة بناء عالم الأشياء والعلاقات والأفكار ، وحتى يتم تشكيل عالم الأفكار لتحتوي الفكرة على نظرية صالحة للحياة ، لا بد من التخلص من الأفكار الميتة والمميتة ، كما يصفها مالك بن نبي ، فكثير من الأفكار الميتة التي ما زلنا نتمسك بها ، وكثير من الأفكار المميتة التي مازالت

---

[1] ـ محمد العودات ، رباعية مالك في النهوض ، تاريخ الزيارة 6،6،2024 الرابط ، https://mugtama.com/13/289841/

[2] ـ المرجع نفسه .

[3] - بشير ضيف الله : فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ، مرجع سابق ، ص 78

تسيطر علينا ، وتشكل سلوكنا وطريقة تفكيرنا ، تقف عائقا أمام نشوء نظرية الفكرة الناظمة للنهوض ، والمأمولة في تحقيق الفرق.)[1]

وفي هذا المقام يشير الدكتور سليمان الخطيب – واحد من أكبر المهتمين بالدراسة حول فكر مالك بن نبي- قائلا :

(من أخطر مصطلحات الفيلسوف مالك بن نبي : الفاعلية)

ومصطلح الفاعلية في الحقيقة من السهل أن تجد له من يشرحه في عالم كرة القدم ، لكثرة استعمالانه ، حتى أنك تجد شخصا عاديا يستطيع تعريفه من كثرة جلوسه للحلقات والتحليلات الرياضة لكرة القدم قائلا لك بأنها : لا تجد نفعا استحواذك لكرة القدم في الملعب إذا لم تكن لك فاعلية تسجل الأهداف التي بها تأخذ البطولات والكؤوس.

وهو تعريف صحيح ودقيق وسوف نستدعيه في الفكر البنبي في فاعلية العقيدة والثقافة وعالم الأفكار.

وفي مقال عنوانه : فكرة الفاعلية عند مالك بن نبي " أ. وصفي عاشور أبو زيد " . في عدد مميز لمجلة الرؤى. يقول: (ولهذا يرى ابن نبي أن الفكرة الإسلامية لا تحتاج أن نبرهن على صدقها نظريا ، وإنما من خلال صياغة الحياة بها كما يفعل

السلف ، وإظهار فاعليتها في الواقع ..أو كما يرى باختصار ينبغي العودة إلى روح الإسلام نفسها.)[2]

ويضيف الأستاذ في مقاله فكرة الفاعلية لبنبي :

---

[1] محمد العويدات ، رباعية مالك بن نبي ، مرجع سابق .

[2]- وصفي عاشور أبو زيد : فكرة الفاعلية عند مالك بن نبي ، مجلة رؤى ، السنة الرابعة ، العدد20، السنة 2003، ص13.

(وقضية الفاعلية عند مالك بن نبي تتدرج ضمن منظومته الفكرية العامة ، التي حددها في مشكلة الحضارة ، بأبعادها الشاملة ، السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ؛ فمشكلة الحضارة عنده لا تتجزأ ، وأي تجزئ لها يقود حتما إلى طرح المشكلات طرحا مخطئا . ومن ثم يؤدي إلى تحديد وسائل مخطئة للعلاج ، ولهذا يعتبر مالك بن نبي أن العالم الإسلامي، أضاع وقتا طويلا وجهدا كبيرا ، بسبب عدم التحديد المنهجي الصحيح للمرض ، الذي يتألم منه منذ قرون عدة ؛وذلك عائد إلى التجزيئية التي عزلت القضايا عن بعضها ، ونظرت إلى كل واحدة على حدة.)[1] وسأختصر أهم أنواع الفاعلية التي ذكر منها كاتب المقال :

- فاعلية العقيدة
- وفاعلية الثقافة
- وفاعلية الأفكار.

(أشار مالك بن نبي في غير كتاب له ، إلى أن **المسلم لم يتخل عن عقيدته ، ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها ، وليس المهم أن تعلم المسلم عقيدة يملكها ، بل المهم أن نرد إلى تلك العقيدة فاعليتها.)**[2]

وفي تقديري لو كان مالك بن نبي وزيرا للشؤون الدينية ، لألزم الأئمة والدعاة بدراسة أفكاره من وجهة الفاعلية، كمقياس إلزامي ، الهدف منه بعث النشاط والحركة في النفوس ، وشحن بطارية الهمم ، وإحياء سلوك الاقتداء بمن آثر العمل عن الكلام وبلاغاته ..

[1]- المرجع نفسه ، ص 13.
[2]- المرجع نفسه ، ص 16.

أما عن فاعلية الثقافة فنحن بصدد التفصيل فيه ، خاصة وأننا لإظهار فاعليته أدرجنا فصولها الأربعة ضمن علاقتها بالمشهد الفلسفي ، إيمانا منا بالتداخل الكبير الذي يصل إلى درجة التعقيد ، وقد ترجم مالك بن نبي المشهد الثقافي في فاعليته في السلوك الحضاري ، معلنا بشيء مفصلي في تمييز الثقافة عن العلم من خلال فاعليتها قائلا: إذ ليست الثقافة **(سوى تعلم الحضارة ، أعني استخدام جميع ملكاتنا الضميرية والعقلية في عالم الأشخاص ، وليس العلم سوى بعض نتائج الحضارة ، أي أنه مجرد جهد تبذله عقولنا في استخدام عالم الأشياء .فالأولى – يعني الثقافة- تحركنا وتقحمنا في كلية موضوعها ، وأما الثاني – يعني العلم – في أنه يقحمنا في مجاله جزئيا . الأولى تخلق علاقات بيننا وبين النظام الإنساني ، والآخر يخلق علاقات بيننا وبين نظام الأشياء.)**[1]

أما عن فاعلية الأفكار فلها مجال دراستها الموسع الذي إن بدأنا نتكلم فيه سيأخذ مساحة كبيرة وهو الميدان الحضاري لمهندسها مالك ، وتكون على حساب الهدف الذي جاءت من أجله دراستنا ، فننزع عنها فاعليتها من حيث كنا نظن أننا لها منتصرين ..

ولكن سأكتفي بلفتة في غاية الفاعلية لعالم الفكرة يقول فيها مالك بن ني :

(فالفكرة الصادقة ليست دائما فعالة ، والفكرة الفعالة ليست دائما صادقة ؛ الفكرة هي صحيحة أو باطلة ، ولكن هذه الفكرة رغم صحتها قد تفقد فاعليتها ، وقد تظل فترة طويلة كامنة في عالم اللافاعلية رغم وجودها ، حتى يأتي زمان تخرج إلى الفاعلية.)[1]

[1]- المرجع نفسه ، ص17.

وهنا للتأكيد فالأمر ليس محصورا على الحضارة الإسلامية ، فالحضارة الغربية في رأي مالك بن نبي ، بنتها الفكرة المسيحية. ولها من التراث اليوناني ما جعل حضارتها تسمد من روحها وزخمها الفكري ..

يقول عالم الاجتماع الألماني * ماكس فيبر *:

(الإنسانية لا دين لها ، لكنها هي ذاتها كل الأديان).

وفي رحلتي لتبييض رسالتي كنت أمني نفسي أن أجد شيئا أجد فيه تأثر مالك بن نبي بالفلسفة الأوربية والغربية ، خاصة وأن رسالتي حملت على عاتقها ،

البعد الفلسفي في نظرية الثقافة .

من خلال التقاطعات فلسفة الأخلاق وفلسفة الجمال وفلسفة العمل وفلسفة الصناعة وكل ما من شأنه يدخل في الفلسفة بداية من الفلسفة واليومي ...

وبمطالعاتنا السريعة في ظل الصعوبات المشار إليها في مقدمتنا ، تأكد لنا هذا الحضور الذي أشفى غليلنا فيه عدد من أعداد مجلة أوراق فلسفية[2] ، من خلال دراسة لفيلسوف واحد ، تكفل بها ليسطر لنا السطور المتقاطعة مع حضور مالك بن نبي في المشهد الفلسفي والفكري لعمالقة ومشاهير الحضارة الغربية ، وللأمانة ولا سطر تم استلامه من هذا الصيد الثمين ، خوفا من أن تغرينا ساحتها وتخرجنا عن هدفنا ..ولسان حالنا يعبر عنه القائل : كمن صاد غزالة وتركها بين الخلائق طالقة. ، ولكنها للأمانة أجابت على من يريد تلقيب وتصنيف مالك بن نبي ، الذي أخذ لقب فيلسوف الحضارة ، وباحث علم اجتماع ، ودارس للثقافة ، وبالمقابل له

---

[1]ـ المرجع نفسه ، ص 18و19

[2]ـ محمد الفرحان ، حضور الفلسفة الغربية في الفكر العربي المعاصر – مالك بن نبي أنموذجا- مجلة أوراق فلسفية ، المجلد الثاني ، العدد الثالث ، صيف 2011.

الأحقية في أخذ لقب " الفيلسوف " من خلال خصائصها وحضوره القوي للفكر الغربي بنزعته الشمولية ، عبر كل مساراته التاريخية ، آخذا منهم الأسطر التي جعلت من فكره

يستعصي على قرائه لأول مرة ، ويوحي على مادته الخام ، التي يصعب فك شفرتها إذا لم نستحضر ذهننا بالطاقة الكاملة .

ومن الشهادات الجمبلة في حق الرجل يقول الدكتور " محمد مورو : (ذلك هو المفكر الأكثر تأثيرا في الثقافة العربية والإسلامية المعاصرة ، ولأنه كان من العمق والاتساع بمكان ، فإن أحدا لا يستطيع أن يوفيه حقه أو يدرك ملامح هذا التأثير أو يحيط بها .

مالك بن نبي هو نحات في عالم الثقافة ، ذلك أنه نجح في أن ينحت بصورة عبقرية مجموعة من المفاهيم والمصطلحات ، كانت كلها معالم في طريق الثقافة ، ومحطات في طريق البحث الثقافي العربي المعاصر .)[1]

والكل يجمع على أن مالك مهندس الحضارة ، يقول الدكتور مورو..

(.. وهو الذي نحت مصطلح مشكلات الحضارة ، والذي أكد به أن المسألة في جوهرها مسألة حضارية ..)[2]

وإذا كان يرى البعض أن مشكلات الحضارة هي مجرد عبارة تغلف بها كتب مالك بن نبي ، ليتميز بها عن نظرائه من الكتاب فهو مخطئ ، أويظنها مادة ترويجية لبيع كتبه ، وإن كان في مرحلة ما يحتاج إلى دنانيرها لتغطية مصاريف تنقلاته ومصاريف التكفل بأسرته ..

[1]-بشير ضيف الله ، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ، مرجع سابق ، ص133.
[2]- المرجع نفسه ، ص134.

(مشكلات الحضارة ليست مجرد شعار ، أو رمز كان المرحوم مالك بن نبي يزين به مؤلفاته ، إنه ترياق للمرض الذي أصيبت به الحضارة الإنسانية .)[1]

وكما كان يدعو بعض رجالات السياسة المخلصين والمثقفين في البلد :

كفانا من الشعارات فنحن نريد التجسيد لا للتمجيد .. بعدما أصابهم الملل من شعارات ساسة البلد من تقديس رجالات الثورة بمرجعيتها في الحكم وبمبادئ أول نوفمبر..وكأن الذي لا يملك صفة المجاهد أو ابن المجاهد[2] ليست له الأولوية بالتغني بأمجاد الوطن ، ولا يحق له الحديث عن عالم البطولة ..والأمر لا زال يفعل في وسطنا فعلته من خلال تقادم السنوات وأعداد المجاهدين في تزايد وامتيازاتهم لا تنتهي ، وفي تقديرنا وإن كنا من أسر ثورية ضحت بالنفس والنفيس أن هذا السلوك يتنافى مع الحس الوطني وعن حس الفاعلية التي بها تبنى الأوطان وبها تحقق السيادة وتنصر الهوية..

ومما قاله عنه أنور الجندي :

(مالك بن نبي يختلف كثيرا عن الدعاة المفكرين والكتاب ، فهو فيلسوف أصيل له طابع العالم الاجتماعي الدقيق ، الذي أتاحت له ثقافته العربية والفرنسية أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن والسنة ،والفلسفة والتراث العربي الإسلامي الضخم ..وبين علم الغرب وفكرهم المستمد من تراث اليونان والرومان والمسيحية)[3]

---

[1]-عكاشة شايف : الصراع الحضاري في العالم الإسلامي ، مالك بن نبي ، الجزائر ، دار بن مرابط ، ط بد ، 2010،ص5.

[2]- ولمالك بن نبي في كتابه بين الرشاد والتيه ،ص53، عن مسألة المجاهد يزكي فيها قول الدكتورخالدي قائلا : لقد حدد الدكتور خالدي ، بطريقة موفقة ، أهمية الكلمات من حيث مدلولها الثوري ، ويجب أن نقدر أهميتها من الناحية النفسية ، إن الكلمات تعين مواقف أيديولوجية محددة .

[3]- بشير ضيف الله : فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ، مرجع سابق ، ص29.

وإذا كان هناك شيئا يستحق أن نختم به هدا المبحث ، فإننا سنأثر شهادته التي وضعها في كتاب له اختار له عنوانا في غاية الغرابة حتى يعطينا إشارة عن حال الرجال[1] في بلدنا ، من خلال كتاب "" العفن "" ...وقد كتب على ظهره هذه الشهادة المؤلمة يقول مالك بن نبي عن نفسه :

(رأيت أشياء كثيرة منذ عشرين سنة ، لقد شبعت لحد التخمة ، فأنا كالنحلة عندما تستبد بها الكظة من عسلها ، وتستفيض الجني وتدخر جنيها ، للأسف فإن العسل الذي أضعه بين دفات هذه الصفحات مصدره ليس رحيق الزهور العبق ، ولكن خلاصة ما يختلج في نفس أريد لها التحطيم عبر الإكراه الحسي والسم المعنوي .)[2]

[1]- قال مالك بن نبي – فيما معناه- وهو في حالة غضب من حال البلد وأهله قائلا : تلك أمة تخصي فحولها ، وتقتل رجالاتها.

[2]- مالك بن نبي : العفن مذكرات شاهد القرن ، مرجع سابق ، صفحة على ظهر الكتاب.

المبحث الثاني:

مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي وعند غيره ، والمشاكل المحيطة في تعريفها :

قد أشرت في مقدمتي لتعريف رسخ في ذهني، وكنت استعرضه في كل فرصة تتاح لي في إطار النشاط الثقافي قائلا لهم بأن الثقافة : هي نضج في العقل ووعي في القلب واستقامة في السلوك وإرهاف في المشاعر.. وحذق في الأشياء علما وعملا ..

ولا أختلف في إثارته وطريقة عرضه عن أحد الدعاة الذي وصفته قدحا (بملوك الرقة) حيث كان كلما أستضيف في نشاط ثقافي أو ديني إلا ووجدته يضرب رجله الأرض زهوا وفرحا بما يدعو إليه من تناسق في الكلمات الناعمة في حضرة النواعم من الجنس الذي كنا نسميه ذات يوم بالجنس اللطيف ..

وإذا به يدخل في دائرة الاستهلاك بمجرد دخولي إلى الجامعة ، وإذا بنا نجد أنفسنا نردد تعريفا نسميه نحن الطلبة من شدة تكراره كورد مأثور بالتعريف التيلوري نسبة لمؤلفه "" إدوارد بيرنت تايلور "" الأنجليزي ومؤسس ، الأنثروبولوجيا الثقافية.

يقول الدكتور أحمد بن النعمان :

من خلال فحصي العديد من التعاريف الموضوعة للثقافة ، تبين لي أن أولى الصياغات العلمية لتعريف الثقافة قد أوردها عالم الأنثروبولوجيا * تايلور *حيث عرف الثقافة بأنها : **(ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن ، والأخلاق والقانون والعادات ، أو أي قدرات أخرى يكتسبها الإنسان بصفته**

عضو في المجتمع .)[1]

(أقدم التعريفات للثقافة وأكثرها ذيوعا حتى الآن لقيمته التاريخية تعريف * إدوارد تايلور* الذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه عن * الثقافة البدائية*سنة 1871)[2]

وهو تعريف كما يقول عنه زكي الميلاد:

(لا يوجد تعريف يصدق عليه وصف المناطقة بالجامع والمانع في تعريف الثقافة)[3]

ويضيف زكي الميلاد قائلا متقاطعا رأيه مع كثير من الدراسين للشأن الثقافي:

ومنذ التراجع التدريجي والبطيء لهذا التعريف ،بقي مهيمنا لزمن طويل في حقل الدراسات الثقافية والأنثروبولوجية ، وما زال يحتفظ بنطاقه التداولي ، لكن بأقل شهرة عما كان عليه في السابق ، فمنذ هذا التراجع لم يتربع مكانه تعريف آخر للثقافة بشهرة ومنزلة تعريف "إدوارد تايلر ."[4]

ولعل من أبسط تعريفات الثقافة أو أكثرها وضوحا ، تعريف أحد علماء الاجتماع المحدثين * روبرت بيرستد* الذي ظهر في أوائل الستينات ، حيث يعرفها بقوله :

(إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه ، أو نقوم بعمله

---

[1]ــ أحمد بن نعمان : هذه هي الثقافة ، الجزائر ، دار الأمة ، ط بد ، 1996، ص 19.
ومن الطريف أن أستاذي الدكتور محمد بومانة ، إشفاقا علينا طلب مني أن أملي لزملائي هذا التعريف ، ونحن طلبة الماستر ، لزلنا متمسكين بتعريف تايلور كملجأ الأيتام في البحث عن دار الثقافة..

[2]- مجموعة من الكتاب : نظرية الثقافة ، تر : علي سيد الصاوي ، الكويت ، عالم المعرفة ، العدد 223، التاريخ يوليو 1997، صفحة 9، تقديم المراجع : الفاروق زكي يونس.

[3]- زكي الميلاد : : فلسفة الثقافة ، مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية ، تاريخ الزيارة 11،06،2024،الرابط، http://www.islam4u.com/ar

[4]- المرجع نفسه.

، أو نتملكه كأعضاء في مجتمع .)[1]

ولأن الدكتور أحمد بن نعمان في كتابه هذه هي الثقافة أعلنها صراحة عندما أشار إلى صعوبة الموضوع من خلال :

1 الحداثة أو الجدة .2 الاتساع .3 تداخل المفاهيم.

جعلني أتجاوز التعريف اللغوي ، الذي حتى وإن توقفت عنه فإنه سيستهلك صفحات بحثنا مجانا دون أن يف بالغرض ويشف الغليل ، والأهم أن المختصين بالشأن الثقافي يجمعون بأن التعريف اللغوي لا يسعه المجال في الوفاء لاحتصان المفهوم..[2]

فكل يستدعي التعريف الذي يناسب دراسته ويخدم فكرته ، ويتقاطع مع اختصاصه ، بل يصل الأمر أن هناك شيئا من الأيديولوجيا..وفوق هذا فللفلسفة النصيب الأكبر

في هذه الفسحة الفكرية لهذا الكم الرهيب لتعريفات الثقافة. وإن صدقت رؤياي علميا وإحصائيا فهذا يجعلها تأخذ الصفة الثقافية بامتياز .

(ومفهوم الثقافة في الاصطلاح أوسع من معناها اللغوي ، ومن الصعوبة بمكان أن يجد لها الإنسان تعريفا جامعا مانعا ، لاختلاف مجالات الدراسة ، أو اختلاف

---

[1]- مجموعة من المؤلفين :نظرية الثقافة ، مرجع سابق ، ص9.

[2]- من ذكرياتنا في الندوات التربوية – البداغوجية – المقرفة في استعراضها لمشاكل التربية عندما يستهلك السيد المفتش الطافم التربوي في مفهوم التقويم لغويا – من باب اللغو –.. وكأن السيد التقويم هو من بيده صكوك الغفران .. ومفاتيح الجنة ، هذا عن حالي ذات يوم في تدريسي للغة العربية في التعليم الأساسي ، ...وإذا بي عند التوجه لقسم الفلسفة كطالب بالجامعة يخرج أحد المفتشين لمادة الفلسفة في أحد منشوراته يشتكي من إظهار بعض الأساتذة قوة أفكارهم ، طالبا منهم النزول للطالب ، غيرة وحسدا من كفاءتهم ونشاطهم الغير معهود في الساحة التربوية...

اهتماماتها سواء كانت تاريخية أو فلسفية أو نفسية أو اجتماعية أو أنثروبولوجية.)[1]

وهذا الكم الكبير للتعريفات جعل من دارسيها يدعوهم الفضول في معرفة تعريفاتها ومعرفة أعدادها من أجل محاصرتها ومحاولة دراستها .

يقول زكي الميلا:

فقد أحصى * كوبير وكلوكهون* لسنة 1952 ما يزيد عن 164 تعريفا للثقافة.[2]

والرقم مرشح للزيادة بعد هذه السنة من الدراسة ، وبالمقابل الدكتور أحمد بن نعمان يعطينا رقما آخر.

(حتى بلغ عدد التعاريف الموضوعة للثقافة حتى الآن زهاء 250 تعريفا ، وضع أولها سنة 1903، ووضع آخرها سنة 1922.)[3]

والمنطق يقول أن العدد أكثر من هذا بكثير ، وربما احتاج الأمر إلى كتاب مستقل يحمل كل هذه التعريفات – المجوهرات – في دفته ، من أجل الاستفادة منه في كل الاختصاصات الاجتماعية والنفسية والفلسفية والفكرية...كقاموس عملي يعود إليه الطالب والأستاذ والباحث والمثقف ...

وهذا الكلام يؤكده زكي الميلاد:

(وقد وجدت أننا بحاجة إلى معجم أو قاموس خاص بالثقافة ، يضم مختلف المعاني والدلالات ، والتعريفات المطروحة حول الثقافة ، وهكذا النظريات والمذاهب

---

[1]- مجموعة من الأساتذة: مطبوعة الفرد والثقافة ، منصة التعليم ، جامعة 8ماي 1945، قالمة ، سنة أولى ، قسم علم اجتماع ،السداسي الاول 2014، 2015. ، ص 5/4.

[2]- زكي الميلاد : مقال : فلسفة الثقافة ، مرجع سابق .

[3]- أحمد بن نعمان : هذه هي الثقافة ، مرجع سابق ، ص 14/13.

والمجالات الأخرى المتصلة بها ، وكل ما له علاقة بهذا المفهوم من أحداث وقضايا وأعلام...)[1]

يقول الدكتور عمر عودة الخطيب ، في مبحث الثقافة في اللغات الأجنبية:

(إن المشكلة في تعريف الثقافة ليست مشكلة خاصة بنا ، بل هي مشكلة الإنسان وعلاقة اللغة بالفكر ، وما يطرأ على هذا الفكر من تطور ينجلي في انتقاله من الأمور المحسوسة أو المادية ، إلى المفاهيم المجردة والأمور المعنوية .وفي حركيته من البسيط إلى المركب ، وما يطرأ على هذا وذاك من نمو يتزايد حتى يبلغ التركيب المعقد ، وقد تختفي صورته البسيطة الأولى إزاء ما يتراكم عليه من صور جديدة .)[2]

(ومن هنا يحاول الباحثون عند بحث مشكلة التعريف للأمور المعنوية – وهو إطلاق الاسم على شيئ ما أن يتتبعوا أصل التعريف ، أي معرفة المدلول الذي

كان مرادا عند بدء إطلاق الاسم عن الشيئ ثم البحث بعد ذلك فيما طرأ على هذا المدلول من تطور ، ومحاولة معرفة العلاقة أو العلاقات الجديدة في ضوء العلاقة الأصلية الأولى) [3]

ومالك بن نبي يقول في كتابه المركزي مشكلة الثقافة :

(والواقع أن فكرة * ثقافة* كما سبق أن قلنا فكرة حديثة جاءتنا من أوروبا ، والكلمة التي أطلقت عليها هي نفسها صورة حقيقية للعبقرية الأوروبية)[4]

---

[1]- زكي الميلاد : فلسفة الثقافة ، مرجع سابق .

[2]- عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الإسلامية ، بيروت ، دار الرسالة ، ط3 ، 1979، ص 27

.

[3]- المرجع نفسه ، ص 28/27.

[4]- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، تر : عبدالصبور شاهين ، دمشق ، دار الفكر ، ط4، 1984، إعادة 2000، صفحة25

ومن بديع المقادير ولأن المشهد الفلسفي والمشهد الثقافي تعانقا من بدايات السجالات الفكرية القديمة ، قدم الحضارات وقدم التنظيرات الفكرية.

(...إن شيشرون 106_43 ق م الخطيب السياسي والكاتب الروماني المشهور ، أول من استعمل هذه الكلمة بمعناها المجازي ، **فهي الفلسفة** ..أي فلاحة العقل أو تنميته)[1]

(ولما كانت اللاتينية أم اللغات الأوروبية من أنجليزية وفرنسية وألمانية ، فقد استعملت كلمة * الثقافة *في أوائل العصور الحديثة . في الأنجليزية والفرنسية

بمدلولها المادي والعقلي ، ثم جاء الكتاب الفرنسيون – كفولتير وأقرانه – في القرن الثامن عشر للميلاد ، فأطلقوا هذه الكلمة دون إضافتها إلى أمر مادي أو معنوي ،

وغدت بعد ذلك تدل على تنمية العقل والذوق . ثم انتقلت بعد ذلك إلى حصيلة عملية هذه التنمية وهي المكاسب العقلية والأدبية والذوقية .)[2]

وهنا يؤكد مالك بن نبي في كتابه المركزي لنظريته مشكلة الثقافة :

(وكان من الطبيعي أن يظل تصور * الثقافة * على ما كان عليه في عصر النهضة ، أي على أنها: مجموع ثمرات الفكر في ميادين الفن والفلسفة والعلم والقانون ....إلخ)[3]

يقول عمر عودة الخطيب:

---

[1]- عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص29/28.

[2]- المرجع نفسه ، ص 29.

[3]- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، مرجع سابق ،ص28.

(أخذ معنى هده الكلمة يتطور عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمؤرخين ، وكان لا بد أن يطرأ عليه من تغيير هو تحوله من الدلالة على الإنماء الفردي إلى أحوال المجموعات الإنسانية من الأمم والشعوب . وغدت هذه الكلمة تطلق على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ، ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات .)[1]

ولأن الثقافة لها تداخل رهيب في العلوم الاجتماعية والإنسانية ، فإن المنظرين لها في إطار النظريات الثقافية . وكتاب ودارسي النظريات الثقافية يجمعون على شيئ

يدخل في عالم البداهة رغم ما يظهر عليه الكثير من التفاصيل والتعقيد من شدة تناوله قائلين :(.. تقوم العلوم الاجتماعية على حقيقتين أساسيتين ، إحداهما أن الإنسان كائن اجتماعي ، أما الأخرى فتتصل بالسلوك الإنساني الذي يصدر في أشكال أو أنماط منتظمة ، وفي صوره على قدر كبير من الاطراد والتواتر .)[2]

(تعتبر الثقافة شديدة التعقيد ، لذا لم يتفق علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على

تعريف واحد له ، رغم شيوع استخدامه في كتاباتهم الكثيرة والمتنوعة ، لدرجة أن عالما مثل * ستيفان جيودمان* يقول أثناء المؤتمر الذي عقده البنك الدولي عن

* الثقافة والعمل العام*: إننا لو سألنا ألف شخص عن معنى الثقافة ، فالأغلب أننا سوف نحصل منهم على أكثر من ألف تعريف ، نظرا إلى اختلاف وتباين خبراتهم الخاصة .)[3]والثقافة هي أهم ركائز المشهد الحضاري ، حتى أنه لا يستقيم التوصيف لأي حضارة إذا لم تكن تربتها نابعة من أرض ثقافية يمارس فيها الإنسان ذالك الكل المركب ، وكل في إطاره الزماني مكمل بقدر ومختلف بأقدار..

---

[1]- عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص29.
[2]- مجموعة من المؤلفين : نظرية الثقافة ، مرجع سابق ، ص7.
[3]- مجموعة من المؤلفين : مطبوعة الفرد والثقافة ، مرجع سابق ، ص4.

(...فالثقافة من وجهة نظر بعض الباحثين مرتبطة ارتباطا كليا بالحضارة ، لأن ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها في فكرها وحركتها وأسلوب حياتها ، وعلى هذا فهما مفهومان لمسمى واحد .)[1]

ولهذا نرى الجمع لهذا الشتات لمالك بن نبي مستفيدا بشخصيته كفيلسوف للحضارة ، وفي نفس الوقت واضع لبصمته كونه متشبع بمرجعيته الإسلامية على خلاف من انتقده دون أن تكون له أشطارا من بضاعته ناهيك عن رؤيته واستراتيجيه وأفقه..

(وقد أشار مالك بن نبي إلى مدرستين في الثقافة هما : المدرسة الغربية الرأسمالية ، والتي ترى أن الثقافة انعكاس لفلسفة الفرد وفكره ، والمدرسة الماركسية التي ترى أن الثقافة انعكاس لفلسفة المجتمع .غير أن مالك بن نبي ضمن حديثه مدرسة ثالثة ، وهي المدرسة الإسلامية التي ترى الثقافة انعكاسا لفلسفة الفرد والمجتمع في آن واحد بشكل متوازن .)[2]

(لقد اشتغل مالك بن نبي بقضية **الثقافة** على اعتبار أنها **جوهر المشكلة الحضارية ، التي يمر بها المجتمع الإسلامي .. وكل تفكير في مشكلة الحضارة هو في الأساس تفكير في مشكلة الثقافة ، باعتبار أن الحضارة في جوهرها مجموعة من القيم الثقافية المحققة ، فمصير الإنسان رهن دائما بثقافته .)**[3]

ولأني لغاية كتابة هذه السطور لم أشعر بأني أشبعت فضولي ، وكل الذي قمت به كالذي أحدث زوبعة دون أن يهدأ من روعها بكثرة الشواهد لتنسجم – على الأقل – مع ما أشرنا إلى هول عدد تعريفاتها وتشعبات مسالكها وغواية مجوهراتها التي تسيل لعاب دارسيها بسعة الأفق..

---

[1]- المرجع نفسه ، ص4.
[2]- المرجع نفسه ، ص5.
[3]- المرجع نفسه ، ص 42.

حتى أني أذكر شيئا طريفا وهو أن أستاذنا في علوم التربية * جوبر المختار* بالمعهد التكنولوجي ، كان يدرسه الشيخ * عباسي مدني * يقول أستاذي جوبر عن نفسه وهو طالب في الجامعة ، ناداه أستاذه مدني وهو يسلم لهم أوراق إجابات الامتحان ، فلما وصل الدور عنده ، قال له : أين جوبر اللعين قد أوهمتني بالدليل فأين هو الدليل .

وحتى لا أجعل من مفهوم الثقافة يلعنني ، فإني سأخفف من هذا اللعن مبحرا لإضافة تعريفات أخرى سريعة وهمي الخروج من هذا المأزق بأقل الأضرار .

يرى هوفستاد : (أن الثقافة هي البرمجة الجماعية للعقل الذي يمكنه أن يميز أعضاء إحدى المجموعات البشرية عن المجموعات الأخرى .)[1]

(ومن آخر المؤتمرات الدولية ، مؤتمر * استوكهولم* الذي انعقد سنة 1998 تحت عنوان * المؤتمر الدولي الثاني للسياسات الثقافية * وقد جاء تعريف الثقافة في هذا المؤتمر ، بأنها بمعناها الواسع ، قد تكون اليوم عبارة عن جماع السمات الروحيةوالمادية والفكرية والعاطفية ، التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة ، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات .)[2]

تعريف * كوفالرون *:حيث قال : تشمل الثقافة القيم المادية واللامادية التي يخلقها الإنسان في سياق تطوره الاجتماعي وتجربته التاريخية ، وهي تعبير عن مستوى

---

[1]- المرجع نفسه ، ص6.

[2] – مصطفى عشوي ، : الثقافة والقيم الأخلاقية ، جامعة الملك فهد ، السعودية.
الرابطhttps://faculty.kfupm.edu.sa/MGM/mustafai/Temp/Ethics.htm11،06،2024

التقدم التكنولوجي والإنتاج الفكري والمادي والتعليم والعلم والأدب والفن ، الذي وصل إليه المجتمع في مرحلة معينة من مراحل نموه الاجتماعي والاقتصادي .)[1]

وبجملة موجزة يقول الدكتور مصطفى عشوي في مقاله الثقافة والقيم الأخلاقية :

(هي إنجازات الإنسان التي يعبر بها من خلال حياته وطرائقه في التفكير والسلوك والعمل ، والتي تأتي نتاجا لتفاعله مع الطبيعة ومع غيره من البشر)[2]

ومالك بن نبي عندما يعطينا تعاريف لقامات الفكر الغربي ، في كتابه المركزي للثقافة (مشكلة الثقافة) ينتقد بكل أدب الفكر الإنساني الغربي وفي نفس الوقت يتحفك برأيه بكل صرامة ووضوح.

فإنه يصفها بجملة :

(بأنها تعريف سليم..ولكنه ناقص من نواح عديدة وأخرى ، ودون أن تكون أكثر اقناعا .)[3]

حيث يمكننا القول أن نظرية الثقافة لمالك بن نبي لم تخرج

من العدم ، وإنما تأسست أرضيتها من تجارب ودراسات الآخرين ، ومن حضورها الواضح والجلي من الفكر الفلسفي الغربي ..

وأفضى عليها الجانب الفلسفي والفكري والحضاري الذي هو من صميم اختصاصه ونضالاته ، وأفضى عليها المرجعية الدينية ، وحاول على قدر اجتهاده أن يجعلها

شافية وافية محاطة بعناصرها الأربعة التي في نظره كما يقول في كتابه المركزي

---

[1] - المرجع نفسه.
[2]- المرجع نفسه.
[3]- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، مرجع سابق ، ص 39.

مشكلة الثقافة :

(فالثقافة * فكرة * ذات وجوه كثيرة ينبغي أن نطبق في تعريفها منهج الشيء المعقد الذي لا يمكن أن يدرك في صورة واحدة .)[1]

ويضيف قائلا:

(فالفرد إذا ما فقد صلته بالمجال الحيوي ، قررنا أنه مات موتا ماديا ، وكذلك الأمر إذا ما فقد صلته بالمجال الثقافي فإنه يموت موتا ثقافيا.)[2]

وفي الحقيقة الأمر ليس محصورا على موت الأفراد بل حتى المجتمعات لها موتاتها ومن ثم تصاب الحضارة في صميها وما غياب الضمير الإنساني إلا وجه من أوجه هذا الموت .[3]

وهذا ما نريد أن نحاوله هنا ، حين نربط ربطا وثيقا بين الثقافة والحضارة ، وفي ضوء هذا الربط :

تصبح الثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة .[4]

(فالثقافة إذن تتعرف بصورة عملية على أنها مجموعة من الصفات الخلقية ، والقيم الاجتماعية ، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته ، ويصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه)[5]

---

[1]- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، مرجع سابق ، ص41.
[2]- المرجع نفسه ، 50.
[3]- وما يحدث في فلسطين هذه الأيام فصل من فصول موت الضمير العالمي.
[4]- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، مرجع سابق ، ص73.
[5]- المرجع نفسه : 74.

وفي زحمة ميلاد تعريفاتها فيها شيئا من الشبه وفيها في نفس الوقت شيئا من التمايز ، وكأننا في رحلة ميلاد طفل من رحم أمه يتشكل يوما بيوم ليأخذ الميزات الأساسية في اللحظات الحاسمة المعروفة عند أهل الطب ، وعند تكاملها يخرج إلى هذا العالم وكأن الأمر نفسه في ميلاد نظرية الثقافة لمالك بن نبي .

(إن الثقافة هي التركيب العام لتراكيب جزئية أربعة هي : الأخلاق والجمال والمنطق العملي والصناعة.)[1]

يقول مالك في كتابه ميلاد مجتمع :

(ومن الواجب أن نفكر مليا في هذه المصطلحات ، لا من طريق الاستعانة بقاموس تمسك به اليد ، ولكن من طريق الاستعانة برأس مستقر بين اليدين ؛

فليس الأمر إذن أن نقول : إن الثقافة تحتوي بصفة عامة عددا من الفصول هي : الاخلاق والجمال ، والمنطق العملي ، والصناعة الفنية ،

ولكن الأمر يقتضينا أن نتساءل : كيف ينبغي أن ندركها في صورة برنامج تربوي ، يصلح لتغيير الإنسان الذي لم يتحضر بعد ، في ظروف نفسية زمنية معينة ،

أو لإبقاء الإنسان المتحضر في مستوى وظيفته الاجتماعية ، وفي مستوى أهداف الإنسانية .)[2]

ولأن **أمر تركيبها جعلها بمثابة الجملة الواحدة : خلقا وجمالا وعملا وصناعة**..فإن هذه المادة الخام سنحاول تفكيكها فلسفيا وثقافيا قطعة قطعة في الفصول القادمة ،

---

[1]- المرجع نفسه : 67.

[2] ـ مالك بن نبي : ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية ، تر : عبد الصبور شاهين ، دمشق ، دار الفكر ، ط2 ، 1986. ص 100.

وهذا باستخدام رؤسنا لا باستخدام القواميس ، احتراما لرغبة مالك نفسه ،

وكل هذا سيأتي بعد هدا المبحث الثالث. من خلال التوقف عندهم فصلا فصلا ..

الفصل الثاني :

البعد الفلسفي الأخلاقي والجمالي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي .

ويتضمن أربعة مباحث :

رقم 1- علاقة فلسفة الأخلاق بالمشهد الثقافي .

رقم 2- التوجيه الأخلاقي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي.

رقم 3- علاقة فلسفة الجمال بالمشهد الثقافي

رقم 4- المبدأ الجمالي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي

المبحث الأول:

علاقة فلسفة الأخلاق بالمشهد الثقافي:

وهنا لا أخفيكم سرا في سعينا لنجاحنا في تحقيق الثمرة المرجوة من هذا المبحث ، فنجاحنا فيه سيسهل المأمورية علينا فيما يشبهه من مباحث في الفصول القادمة ،وأي تعثر سنجني عواقبه على بقية الفصول الأخرى ما تم التنظير له في هذه الرسالة على مستوى المنهجية ، وعلى مستوى البضاعة الفكرية ، وعلى مستوى التنسيق بين الشكل والمضمون بلمسات إقناعاتية ونقدية وإبداعية وبروح فلسفية وثقافية ..

وفي مقال ل مشير باسل عون ، بعنوان : هل الاخلاق مسألة ثقافية ذاتية ؟ قائلا :

والسؤال الذي ترتب عليه المقال يشير في ملخصه:

(تفكير منهجي يساعدنا في اختيار السبل الوجودي الذي ينبغي أن ننهجه حتى نحيا حياة تليق بالمعنى الإنساني الأرحب.)

وفي مقاله يطرح الدكتور مشير عون :

تعالج فلسفة الأخلاق ضمن من الأسئلة الأساسية منها :

ما المبادئ التي يجب أن نعتمدها ونحيا بمقتضاها ؟ لماذا يجب علينا أن نعتمد هذه المبادئ، عوضا عن الاستناد إلى مبادئ أخرى ؟ ما طبيعة الأحكام الأخلاقية ، وما منهجيتها الخاصة ؟

هل هناك بنية أخلاقية يستند إليها الضمير الذاتي تجعل الإنسان كتلة معقدة من العناصر الطبيعية والذهنية والفكرية والأخلاقية والروحية ..[1]

ولا شك أن هذا النوع من التعقيد الذي يفك شفرته هو الجانب الثقافي المتفتح على كل ثقافات العالم ، دون أن يتحيز إلى ثقافته المحلية أو مرجعيته الدينية ..

كما يقول مشير عون:

(لسنا وحدنا مالكي الأرض البشرية ، بل يشاركنا في الملكية أقوام نشأووا على بنى ذهنية مختلفة ، وعاشوا في بيئات ثقافية متباينة ، وساروا على دروب وجودية متنوعة ، ومن ثم لا بد لنا من الاستعانة بفلسفة الأخلاق التي تساعدنا في تناول أبرز المسائل التي تؤرق الإنسان في سعيه إلى الحياة الصالحة العادلة السعيدة .)[2]

وفي مقال مرتكزات التأصيل الفلسفي الذي يتكلم عن مسألة القيم الأخلاقية يقول صاحبه ، القيم :

(مجموعة من المبادئ تعمل على احترام الإنسان لنفسه وللآخرين ، كقيمة يتميز بها الإنسان ، وتكون الوازع النفسي الذي يمنعه من الانحراف عن الصلاح ، وذلك بصيانة سلوكه وتصرفاته في إطار محدد يتفق وينسجم مع المبادئ والقواعد التي يؤمن بها بقية أفراد المجتمع .)[3]

ويرى بعض الباحثين أن أهداف القيم تتمثل في :

---

[1]- مشير باسل عون : هل الأخلاق مسألة ثقافية ذاتية ، موقع (أند بن ونت ..عربية) تاريخ المقال ، 21 يوليو2021. ، الزيارة بتاريخ ، 6،6،2024

[1]- المرجع نفسه.

[2]- مصطفى السيد ومعه آخرون : مرتكزات التأصيل الفلسفي للقيم الأخلاقية في الطرح الإنسانوي الغربي المعاصر ، القاهرة ، مجلة التربية (الأزهر) العدد 194، الجزء4، أبريل 2022، ص 161.

1 أهداف فردية : تعمل على إيصال الفرد إلى نضجه الأخلاقي وكماله الإنساني.

2 أهداف اجتماعية : وتتمثل في تمكين الفرد من بناء علاقات أخلاقية مع الآخرين ، بدءا من الأسرة التي ينتمي إليها ، وحتى المجتمع الإنساني عامة .

3 أهداف مهنية : وتتمثل في تمكين الفرد أن يصير مواطنا منتجا وفاعلا في الحياة الاحتماعية الذي ينتمي إليه .[1]

وهنا نرى من الضرورة بمكان إضافة :

4 أهداف نفسية :

تبنى على مبدإ الثقة، فإذا كانت الثقة بين الحاكم والمحكوم هي من تبنى بها الدول التي تحترم نفسها ، اقتصادها وجيوشها وتحسين الدخل لمواطنيها وتحقيق الرفاهية لهم واحترام سلطة القانون على الجميع دون مفاضلة البعض على البعض مهما كان موقعهم من السلطة..وبالثقة أيضا نقدم أحسن الهدايا لأطفالنا فهم قد يغفرون لوالدهم أبا وأما كل الخيبات - وما أكثرها اضطرارا - ماعدا أن نزعزع من جدار ثقتهم في مجابهة الحياة بكل يسر وسلاسة..

وقد يدعو القارئ الفضول إلى موقع الأهداف الثقافية من الإعراب فالذي ذكرناه هو جزء أصيل لمفهوم النظري والعملي من خلال الانتصار للقيم الأخلاقية كسلوك حضاري تتدافع إليه الأمم تدافعا يميزها عن بعضها البعض في الدرجات والعلا والرقى والجودة الأخلاقية ، والقاسم المشترك بين الشعوب هو هذه السلوكيات

[3]- المرجع نفسه : ص 162.

والمسلكيات الحضارية فالتي يعلو شأنها تصدر القيم النبيلة ، والتي ينزل مستواها الحضيض تصدر الرداءة[1] والعفن.[2]

وقد (وصفت التجربة الأخلاقية بأنها ثورة في سبيل التقدم ، ورفض الواقع الراهن ؛ تطلعا إلى مستقبل وواقع أفضل ، يضبط حياة البشر على هذه الأرض ، وفق ما يشبه القوانين والقواعد السلوكية التي تستقي قيمتها من قيمتي الخير والشر ، وتتفاوت الأخلاق زمانيا ومكانيا ، وهي صيرورة دائمة تتجدد وتتغير بحسب تغير التجارب الإنسانية ، فالإنسان بطبعه ثوري يصبو غالبا إلى الأفضل ، وإلى ما يحقق مصالحه المادية والمعنوية .)[3]

وقد يحدث في المشهد الثقافي المتقاطع مع المشهد الفلسفي ، ما يشبه التزاحم والتلاحم بين الأخلاق العملية والأخلاق النظرية ، فالأولى على قلتها لأن ميدان ترجمتها على أرض الواقع عمليا بفاعلية ، والثانية على كثرة نصوصها وأقوالها وحكمتها في الكتب وفي مجالس النصح[4]وعلى منصات البطولة الوهمية من خلال اختيار أرقى المناشير بمسحة دينية تشبه دموع التماسيح..

نحن في الحقيقة لسنا محتاجين إلى الحكمة وإلى كل هذا الحشد من المواعظ ، في ظل سهولة تواجدها ، مما جعل من وفرتها تسطيحا لها ..وإنما نحن في أمس

الحاجة إلى منطق العمل وإلى التنافس في إتقانه وإلى النفس الطويل في الصبر على مشقته وترجمة الحس الأخلاقي كسلوك حضاري نتنفسه كالهواء..

---

[1]- من الأقوال المشهورة للمثقف السياسي الدكتور عبدالحميد مهري : نحن في زمن الرداءة ، وللرداءة أهلها.

[2]- وهو عنوان موجع لكتاب استثنائي لمالك بن نبي ، لا يعرف فيه كعادته تغليف الأشياء.

[3]- نهلة الجمزاوي : فلسفة الأخلاق ، مرجع سابق ص7.

[4]- أسوء كلمة في الفصل التربوي كلمة : يجب . ولسان حالنا يعبر عليه القائل :
إذا كان رب البيت بالدف ** ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص.

وكما يقول * ليفي بريل

(إذ الحقيقة أن موضوع كل من الأخلاق النظرية ، والأخلاق العملية ، هي تحديد السلوك ، ولكن الأخلاق النظرية تحاول الصعود نحو أسمى صيغة تعبر عن الالتزام أو الخير أو العدل ، في حين الأخلاق العملية تهبط إلى التفاصيل الجزئية .)[1]

وإذا كان الشيطان كما يقال : يسكن في التفاصيل ، فإن سعينا في الانتصار في مسألة الحجاج عبر بوابة التواصل الاجتماعي ، يجعلنا نأخذ أشكالا ودروبا من التلون والحيل والمغالطات ،لا نختلف فيها عن المدرسة السفسطائية التي إن أبدعت في جانب بعث النشاط التفلسفي ،تركت لنا إرثا كبيرا في المغالطات وفيمن يتبناها من بعدهم ، كسلوك تم التقليد فيه وترسيخه بين الأجيال تتوارثه جيلال بعد جيل.

وهنا أذكر كتابا في غاية الخطورة (فن أن تكون دائما على صواب أو الجدل المرائي) ، لصاحبه الفيلسوف الألماني الشهير * آرثور شوبنهاور *
ويتضمن 38 حيلة

آثرت أن أدعم بها مبحثي مكتفيا بتسمياتها على أمل أن لا تجد طريقا لاستعمالات سحرها:

ح1= الاتساع (على أمل أن لا تكون مذكرتي التي بتجاوزها المائتين صفحة تتنصل من مسؤلية الالتزام من خلال حيلة الاتساع)ح2= الجناس ح3= تعميم حجج نقيضة .ح4 = إختفاء القصد. (لنا عبارة مشهورة وفارقة في الصراعات السياسية في التاريخ الإسلامي ..حق أريد به باطل...من الصراع الذي دار بين

[1]- نهلة الجمزاوي ، فلسفة الأخلاق ، مرجع سابق ، ص24.

سيدنا علي وسيدنا معاوية...وحادثة الاحتكام الشهيرة ، التي طبقت هذه الحيلة باختفاء القصد).ح5= حجج كاذبة .ح6= المصادرة على ما ليس مبرهنا عليه .ح7= الحصول على التأييد بواسطة الاستجواب .ح8= إغضاب الخصم .ح9= طرح الأسئلة بترتيب مخالف.ح10= الاستفادة من نقيض الدعوى .ح11= تعميم ما يقوم على حالات خاصة .ح12= اختيار استعارات مناسبة .ح13= رد نقيض الدعوى .ح14= إعلان الفوز رغم الخسارة . (وكثيرا ما تستعمل هذه المشاهد في الانتخابات السياسية لدول العالم الثالث ، حتى لا أقول المتخلف)ح15= استعمال حجج غير معقولة .ح16=الحجة على الذات .ح17= المقاومة بالمبالغة في التدقيق .ح18= مقاطعة وتغيير المجادلة.ح19= التعميم بدلا من مناقشة التفاصيل .ح20= استخراج النتائج.ح21= مقابلة فاسد الحجج بفاسد الحجج.ح22= المصادرة على المطلوب .ح23= إجبار الخصم على المبالغة .ح24= فن استخلاص نتائج كاذبة.(أكبر أغلوطة في المشهد التعليمي :عبارة ومن هنا نستنتج) ح25=الحجة الفرعية أوإيجاد الاستثناء .ح26= عكس الحجة على الخصم. ح27= الغضب ضعف.ح28= إقناع الجمهور وليس الخصم (تستعمل في السياسة كثيرا ، فباسم الشعب العظيم ، وباسم المصلحة العليا يبيحون كل شيء ، وأكبر كذبة : المرجعية الثورية ..). ح29= الحيد عن الموضوع. ح30=حجة السلطة.

ح31= لست أفهم شيئا مما تقوله.ح32= مبدأ الجمع المهين.ح33= نظريا نعم ، عمليا لا.ح34= زيادة الضغط.ح35=المصالح أقوى من العقل.

ح36= إرباك الخصم بكلام محال .ح37= فاسد البرهنة علامة الخسران .ح38=الحجة على الشخص.[1]

[1]ـــ شوبنهاور : فن أن تكون دائما على صواب أو الجدل المرائي ، تر : رضوان العصبة ، الجزائر ، ط 1 ، 2014.

(وكما تلاحظون كلها حيل تسيل اللعاب لمن له إمكانية التعليق ، وضرب الشاهد ، لكننا آثرنا لرسالتنا الفاعلية بلغة مالك بن نبي على قدر الاستطاعة ، فهو في رسالتنا وإن زاحمنا صميم نظريته بمباحث أخرى تخدم فكرتنا ، فالنقطة المركزية هي الانتصار للمشهد الفلسفي المتقاطع مع المشهد الثقافي من خلال فصولها الأربعة.)

ومن بين الإشكالات المطروحة في المشهد الفلسفي الأخلاقي المتقاطع مع المشهد الثقافي – المعاملاتي- يقول المفكر اللبناني مشير عون في مقاله : ذاتية الحكم الأخلاقي وانتسابية الثقافة : يعتقد بعض الناس أن المسائل الأخلاقية لا تجري عليها الأحكام الموضوعية ، وليست محل إجماع عالمي كونها ، نسبية أو انتسابية ، أي تنتسب إلى حضارة المجتمعات وثقافاتها المتنوعة ..وحجتهم في ذلك :

الحجة الأولى :

أن الناس ينتمون إلى مذاهب أخلاقية .

الحجة الثانية :

أن العقل لا يستطيع بالبرهان أن يسوغ الدليل الدامغ على أحقية هذا التصور الأخلاقي أو ذالك.

الحجة الثالثة :

أن الدليل العقلي إذ أننا لا نستطيع أن نعاين معاينة موضوعية علمية لوقائع الأخلاقية المحضة.[1]

وكل هذه الحجج هي ثقافية بامتياز وقد كتب ** فتجنشتاين ** قائلا :

[1]- مشير عون : ذاتية الحكم الأخلاقي وانتسابية الثقافة ، مرجع سابق .

(أنا لست رجلا متدينا ، لكن لا يمكنني منع نفسي من رؤية كل مشكلة من وجهة نظر دينية).

وهذا النوع من التصريح يدل على التوجه الفلسفي الفكري وعلى البعد الثقافي النقدي

وإذا كانت المرجعية الثقافية الفلسفية ل* كانط *حيث حدد مفهوم الفلسفة من خلال الإطار العقلي قائلا :

(علم العلاقة بين كل المعارف والغايات الجوهرية للعقل البشري ، وتشكل غايات العقل العظمى منظومة الثقافة) [1]

أما :* باسكال* وقد أعطى للوجدان في حياته حظا وافرا لا يقل عن حظ العقل منها ، إذ يقول (إن للقلب أدلته التي لا يملكها العقل))[2]

ولهذا أبو حامد الغزالي يوضح لنا مسألة في غاية الخطورة بقوله:

إن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد ، وهو حالة وصف للقلب ، ويكتنفها أمران : علم وعمل)[3]

ومن الكلمات البليغة والمؤثرة للمفكر * محمد الغزالي *:

إن الله يقبل نصف الجهد في سبيله، ولكنه لا يقبل نصف النية ، إما أن يخلص القلب له ، وإما أن يرفضه كله.

ولهذا نحن نقول في أبجديات الإطمئنان لكلام الآخر :

---

[1]- جيل دولوز : فلسفة كاط النقدية ، تر : أسامة الحاج ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات ط 1، 1997 ، ص 5

[2]- طه عبالرحمان : سؤال العمل (بحث عن الأصول في الفكر والعلم) ، المغرب ، المركز الثقافي ، ط1 ، 2012، ص 70.

[3]- نهلة الجمزاوي ، فلسفة الأخلاق ، مرجع سابق ،ص 61

ما خرج من القلب وصل إلى القلب...فإذا لم يصل فهذا يعني هناك مشكلة ؛ إما في قلب السامع أم المستمع ..

وربما المفكر* محمد الغزالي * في العصر الحديث ، قد فصل في هذا الجدل من خلال مقدمة في كتابه (الجانب العاطفي في الإسلامي) :

(وقد أسفت – كما أسف غيري- لصنفين من الناس :

صنف تلمس في قلبه عاطفة حارة ورغبة في الله عميقة ، وحبا لرسول الله باديا ، ومع ذلك تجده ضعيف البصر بأحكام الكتاب والسنة ..

وصنف تلمس في عقله ذكاء ، وفي عمله سعة ، وفي قوله بلاغة ، يعرف الصواب في أغلب الأحكام الشرعية ، ولكنه بارد الأنفاس بادي الجفوة ، غليظ القلب..)[1]

وربما لحكمة نردد الأثر : إن الله ليزع بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن.

* نيتشه * آثرنا أن يكون في هذا المبحث الفلسفي الأخلاقي الثقافي لما يحمله من عمليات نقدية :

(إننا بحاجة لنقد القيم ، وأن قيمة هذه القيم ينبغي أن تطرح قبل كل على بساط البحث .)[2]

وهدا يدل على نسيبة المشهد الأخلاقي ، وأن أمرها ثقافيا غير محسوم وغير مسلم به، أو الأمر تدخل فيه عناصر هي من تضفي عليه المصداقية والفاعلية المنشودة

ولو بمنظورها من خلال أهم عنصر وهو * عامل القوة * عند نيتشه وعند من يحترفون سياسة كل شيء ممكن..

[1]- محمد الغزالي : الجانب العاطفي في الإسلام ، القاهرة ، شركة مصر ، ط2 ، 2005، ص8
[2]- نهلة الجمزاوي : فلسفة الأخلاق ، مرجع سابق ، ص120

ونيتشه من النوع الذي لا يمسك العصا من الوسط ، ولا يحب الحيادية في المواقف

ف نيتشه جاعلا من إرادة القوة معيارا أساسيا لنقد تلك القيم ، واستبدالها بقيم جديدة ،

يقول : (أنتم أيها الواضعون للقيم أقدارها بمقاييسكم وموازينكم بما تقولوه عن الخير والشر ، هل كان لكم أن تفعلو هذا لو لم تكن لكم إرادة القوة)[1]

وإن كنا نحن المسلمين في الحديث نقول :

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

وإن كان تمسكنا : وفي كل خير ، أكثر من تمسكنا بمبدإ : المؤمن القوي .. وشعارنا المستمر والمتجدد هو دائما : فيها خير ، مع أننا نرى حتفنا بأعيننا بتمسكنا به؟

والمؤمن لا يلدغ من جحره مرتين.

وأنه كان سيدنا عمر بالخطاب : يقول: لست بالخب ولا الخب يخدعني .

ولقد ورد أن أن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، نظرت إلى رجل ، كان يتماوت في مشيته ، فقالت : ما لهذا ، فقيل إنه من القراء.

فقالت : كان عمر سيد القراء ، إذا مشي أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع.

ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلا متماوتا ، فقال : لا تمت علينا ديننا ، أماتك الله تعالى.

وقد يستدعي الفضول أهل العلم والثقافة ناهيك على الطبقات الشعبية العريضة

[1]- المرجع نفسه ، ص124

من نصبو أنفسهم بضرورة الإسراع في تطبيق الحدود ودستور الشريعة الإسلامية ، دون امتلاك الرؤية والبرنامج وتوفير التربة والبيئة لذلك يتساءلون :

من خلال طرح هذا السؤال :

(ما الحاجة للبحث الأخلاقي مع وجود القانون الإلهي ؟

قد يقال إذا كان القانون الإلهي بريئا من عيوب القوانين الوضعية ، وكان هو أصل الأخلاق ومنبعها ، فما الحاجة إذن للبحث في الأخلاق ؟ ولماذا العناء في هذه الدراسات الطويلة المضنية ؟

وجوابنا عن ذلك أن الدين وإن بين لنا الفضائل والرذائل والخير والشر ، ورسم لنا ما تعمل وما لا نعمل ، إلا أنه كما قلنا سابقا لم يفصل لنا علة ما جعله خيرا أو شرا من الأعمال ، ولم يقفنا على المستوى الذي نحكم بحسبه على بعض الأعمال بأنها خير ، وبعضها بأنها شر ، وترك ذلك لعلم الأخلق الذي يكسب الدقة في التقدير ووزن الأعمال ويوجه إرادته نحو الصالح منها .)[1]

[1]- محمد يوسف موسى : مباحث في فلسفة الأخلاق ، المملكة المتحدة ، هنداوي ، ط بد ، 2017 . ، ص114

المبحث الثاني:

التوجه الأخلاقي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي.

هالني ما قاله المفكر مالك بن نبي ، عندما وصل إلى الحديث عن عنصره الأول – التوجه الأخلاقي- والذي قبل قليل صرحنا بأننا سنراهن على حشد كل ما يجعل له هيبة معرفية فلسفية تسهل لنا المأمورية فيما هو قادم من العناصر ...فخفت على بنايتي التي شيدتها باختيار أرضية العنوان وأضحيت أردده كقول مأثور صباحا ومساءا أنشد به بركة ما ينزل علي من تنظير منهجي يعطي لعملنا شيئا من مصداقية رسائل النسخ واللصق..

عندما افتتح توجيهه الأخلاقي في كتابه المركزي للثقافة * مشكلة الثقافة ، ص 79

لسنا نهتم بالأخلاق من الزاوية الفلسفية بل من الناحية الاجتماعية ، وليس الأمر هنا أن نشرح مبادئ خلقية ، بل أن نحدد قوة التماسك الضرورية للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية [1]

والأمر نفسه ثقافيا عندما تجاوزنا قوله بأن نظرية الثقافة هي نظرية في السلوك ، أكثر منها نظرية في المعرفة...

ولكن الذي يقرأ كل كتب مالك بن نبي خاصة التي لها علاقة بالتنظير الثقافي، وبالأخص كتابه الذي تأسست عليه نظرية الثقافة ، من خلال كتابه مشكلة الثقافة من بدايته إلى نهايته ، _ مع أنه للأمانة لم نحز على هذا الشرف ، ونحن ندعي لمشكلة الثقافة دارسين _سيرى أن الحضور الفلسفي[2] والطرح الفكري ، وإن لم تكن

[1]- مالك بن نبي :مشكلة الثقافة ،مرجع سابق ، ص79.
[2]- الحضور الفلسفي : قد أشرنا إليه في ما سبق . في مجلة أوراق فلسفية ، محمد الفرحان .

زاويته في فلسفة الأخلاق ، بالنيابة عن باقي فلسفة العناصر القادمة حاضرة على مستوى الشكل ، فهي حاضرة على مستوى المضمون والدلالة والفاعلية ، وما بين السطور، خاصة ما يتقاطع مع الإطار لمشكلته الأساسية الحضارية ، المتبناة في بعدها الثقافي الفلسفي أو بعدها الفلسفي الثقافي..

ما يجعل جهدنا المبذول في تعبيد الطريق لرسالتنا من خلال بعدها الفلسفي لنظرية الثقافة لم يذهب سدى ..وهي التي شقت طريقها بثبات وعزيمة مراهنة عل أن تخرج هذا الفصل بالذات في أحسن أحواله للمحافظة على مسيرة الجودة في باقي العناصر القادمة فلسفيا وثقافيا وبمنهجية منسجمة مع كل فصولها ومباحثها...

والذي يؤنسنا في مسيرتنا ما أشار إليه الدكتور زاهر أبو الدهاج ، في مداخلة بعنوان : الإنسان الحضاري عند مالك بن نبي . قائلا :

إن مفهوم الإنسان يحتل مكانة محورية داخل الجهاز المفاهيمي للمشروع الحضاري لمالك بن نبي .

وأضاف المتدخل أن :

هاجس التأسيس لفلسفة حقيقية للإنسان ، استبد بالمفكر مالك بن نبي ، فأنتج جملة من النصوص ، اهتمت بالأبعاد الفلسفية والاجتماعية والآنثروبولوجية والتاريخية التي تدخل في تكوين شخصية الفرد . واهتم بعنصر الفاعلية التي تفتح مجال الإبداع والابتكار وبناء القدرات والإمكانيات والمواهب لتكوين نموذج للإنسان الحضاري.[1]

ونبه الدكتور زاهر أبو الدهاج إلى أن:

[1] ـ زاهر أبو الدهاج : الإنسان الحضاري عند مالك بن نبي .، مؤتمر دولي بعنوان ، إبراز رؤية المفكر مالك بن نبي الحضارية ، أدرج يوم 26،3،2023، زيارة الموقع ، 6،6،2024.

فكر مالك بن نبي كان منفتحا بطبيعته على مكتسبات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، وعلى مكتسبات العلم التجريبي والتقني ، وبنى عليها قاعدته الدينية والفلسفية ليقدم مشروعا تنويريا عميقا يوضح رؤيته للإنسان ، وكيفية تهذيب سلوكه .[1]

تقول الأستاذة بن قاسم سلسبيل في مقال:الطاقة الأخلاقية الفائقة ، أو التوتر الأخلاقي في فلسفة مالك بن نبي :

إن سؤال القيم عند مالك بن نبي ، ليس سؤالا ثابتا وساكنا في نصوصه ، بل هو سؤال نقدي ثوري في مشروعه النهضوي الحضاري ، لأن القيم هي مصدر الطاقة الروحانية والمعاني العليا ، والروح الدافعة في الإنسان لبناء الفكر والحضارة .[2]

فالمبدأ الأخلاقي هو الميثاق الغليظ في فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي

فكل حضارة تستلزم رأس مال أولي مكون من : الإنسان والتراب والوقت ، فهي مركب من هذه العناصر الثلاثة الأساسية ، ولا بد أن يركبها العامل الأخلاقي ، يعني يحتم تماسكها ، من غير هذا العامل يوشك أن يتمخض العملية عن كومة لا شكل لها ، متقلبة عاجزة أن تأخذ لها وجهة ، بدلا من أن تكون (كلا) محددا قي مبناه ومتجها بهدف إليه.[1]

---

[1]- المرجع نفسه.

[2]- بن قاسم سلسبيل : الطاقة الأخلاقية الفائقة ، أوالتوتر الأخلاقي في فلسفة مالك بن نبي ، موقع ، أكاديمية الصفوة للتعليم الإلكتروني ، تاريخ المقال ، 16،02،2024.

ولعل الملاحظ أن مصطلح التوجيه من منحوتات مالك بن نبي في مسلكيته للتنظير الثقافي ، وإن كان مرة يذكرها بالدستور الأخلاقي ومرة بالفصل الأخلاقي ومرة بالمبد أ الأخلاقي لكنه عادة ما يراهن على منحوتة التوجيه.

يؤكد زكي الميلاد :وكلمة التوجيه تعبر عند ابن نبي عن فكرة حاول التأكيد عليها وهو يقصد بها :

قوة في الأساس ، وتوافقا في السير ، ووحدة في الهدف .[2]

وهي العلاقة – العلاقة بين الأخلاق والثقافة – التي شرحها في

كتابه = تأملات = **متحدثا عنها من جهتين ، من جهة اجتماعية ، ومن جهة ثقافية ، بدون الفصل بينهما ، حيث يرى ابن نبي أن العلاقات الشخصية بين**

الأفراد لا تقوم في أي مجتمع من دون أساس أخلاقي ، وشبكة الصلات الثقافية هي تعبير عن العلاقات الشخصية في مستوى معين ، لذلك لا يمكن لهذه الشبكة أن تكون بدون مبدإ أخلاقي .كما أن فعالية المجتمعات تزيد وتنقص بقدر ما يزيد فيها تأثير المبدأ

الأخلاقي أو ينقص. وجماع القول أن المبدأ الأخلاقي هو الذي يقرر الاتجاه العام للمجتمع ، بتحديد الدوافع والغايات.[3]

---

[1]- المرجع نفسه .

[2]- زكي الميلاد : المسألة الثقافية ، (من أجل بناء النظرية الثقاغية)، الجزائر ، الدار الشاطبية ، ط3 ، 2012،ص58.

[3]- المرجع نفسه : ص60/59

المبحث الثالث:

علاقة فلسفة الجمال بالمشهد الثقافي

يقول شربل داغر في مقدمة الطبعة العربية لكتاب مارك جيمينز : ما الجمالية ؟

إن طرح مسألة الفن وحكم الذوق هو فتح الفضاء الكبير لحرية الحكم ، والاتصال والتبادل.)[1]

ويشرح أن :

ميلاد الجمالية ناسب إقامة الفضاء العمومي ، وانباء فكري نقدي أصاب تدريجيا جميع مبادئ السلطة الماورائية ، والفلسفية والدينية والسياسية . وقد عنى هذا عند ورثة كانط وهيجل تحديدا ، اكتشاف ميدان المختلة والشهوات ، وأنواع الحدسي والانفعالات في بداية هذا القرن تزحزحت الأفكار عن المسار الجمالي لتصبح هوسا عالميا ، إذ لم يعد الجمال من المعطيات الصعبة وغير الممكنة ، بل تخطاها لمراحل متقدمة من صناعة الجمال ، والتسويق لنوع معين منه ، يتفاعل معه الفرد بمنطق الحاجة من أجل الشعور بالرضى على النفس ، بدون السؤال عن الأهداف السليمة من الجمال ؟ وعن فكرة الجمال في حد ذاتها ، وما تحويها من مخاطرات .[2]

وهنا تقول الشاعرة والإعلامية البحرينية حبيب في مقالها ثقافة الجمال :

ولكني أريد أن أطرح الموضوع من باب * الإنسان كمادة جمالية * وهذا ما قد يثير أسئلة خطيرة حول تشييئ الإنسان ، أو تدويره ونقله من مصاف المشتغل بالجمال

---

[1]- بروين حبيب : مقال : ثقافة الجمال ، صحيفة القدس العربي ، العدد ، بتاريخ 3فبراير 2019 .

[2] - المرجع نفسه .

إلى المشتغل به . انطلاقا من المجتتمع الذي أعيش فيه ، والذي قليلا ما يشتغل بنظرية الجمال على الأعمال الفنية ، ولكنه في المقابل يستخدم شيئا يشبه – لا أجد له مصطلحا دقيقا – يطبقه على الإنسان ، وتحديدا على المرأة ، لأنها وفق المعطيات الاجتماعية التي نملكها ، هي العنصر الوحيد الذي يتمثل فيه الجمال . والذي لا يزال يشد اهتمامنا أكثر من العمارة ، والنحت والفنون التشكيلية ، والشعر والأدب والموسيقى ، وكل الفنون الجميلة الممكنة ، التي انحسرت عن حدود اهتمامنا لأسباب يصعب اختصارها.[1]

وقد أتيحت لي فرصة لقراءة كتاب قوة الفرح ل فريدريك لينوار وهو عالم اجتماع فرنسي ، حيث لا يخف للجميع أن أحسن هدية نقدمها لبعضنا في زمن العيش الصعب ، كما يصفه المفكر عبدالكريم بكار ، هو تقديم هدايا زراعة فن السرور في الوسط العائلي وفي الوسط الاجتماعي ، لإعطاء الطاقة النفسية التي تجعل الجميع مرتاحا ومتفائلا ومنسجما مع ذاته ، وكله رضى بم أعطي له وعينه على حاله دون أن يدخل في مقارنات تسلب صحته وسعادته وتدخله في حالة من الكآبة والمزاجية ...وإن كان الأمر الذي نريد توظيفه في مبحث الفلسفي الجمالي الثقافي ، من خلال عنصر المرأة التي بحكم طبيعتها تنشد الجمال ، فإن كاتب الكتاب قوة الفرح يشير إلى وجوب احترام المسافة بين العاشقين = المتزوجين = ليتمتعا معا ببهجة الحياة على طبيعتها وبساطتها ومنطقها وجمالها قائلا :

لا يعني أن تحب شخصا أن تتملكه ، إنما يعني على العكس ، أن تتركه يتنفس ،

لا يعني الحب أن تحتكر الآخر وتجعله تابعا لك ، بل يعني على العكس أن ترغب في استقلاله ،

[1]-المرجع نفسه .

الغيرة ، التملك ،الخوف من فقدان الآخر هي أهواء تتطفل على حياة الأزواج بل تدمرها ، الحب الحقيقي لا يقيد بل يحرر ، ولا يخنق الآخر ، بل يعلمه أن يتنفس على نحو أفضل ، يعلم أن الآخر لا ينتمي إليه ، لكن يمنح نفسه له بحريته . هو يسعى إلى حضوره ، لكن يجب أيضا الوحدة وفترات الانفصال ، لأنه يعلم أن تلك القدرات تجعله يعرف بشكل أفضل معنى أن يكون المحبوب حاضرا ، يستحسن تجنب الحب الذي ينصهر فيه المحبان معا ، حتى لو كان هذا الانصهار في الغالب هو نوع العلاقة الزوجية ، التي يسعى إليها فردان يعوزهما الأمن الداخلي ، يربط الحب في شكله الأكثر صدقا كائنين مستقلين ، لا يتبعان أحدا ، ويتبع أحدهما

الآخر ، محررين من الرغبات و الإلتزامات ، يتعين دوما الحفاظ على مسافة بين العاشقين)[1]

وتضييف الكاتبة حبيب :

ويبدو جليا أن ثقافة الجمال هذه قلبت مفاهيم كثيرة لدينا ، أقلها جعلتنا نحب الحياة ونتوقف عن النحيب في انتظار الآخرة)[2]

وأذكر هنا أنه في نادي القراءة التفاعلية الذي أقمناه ذات يوم في مدينتنا ..أنه عندما ناقشنا كتاب * أحلام مستغانمي * ذاكرة الجسد[3] وربما كان لي فيه شيء من التأثير على المجموعة التي حزت فيها شرف التنشيط ..أن أجد إحدى الفتيات تنفجر بصراحتها وعلاقتها مع أمها قائلة : إذا حدثتتها عمن أحبه تقاطعني قائلة

[1] ـ فريدريك لونوار : قوة الفرح ، تر : أيمن عبد الهادي ، بيروت ، دار التنوير ، ط 1 ، 2017

[2] ـ بروين حبيب ، ثقافة الجمال ، مرجع سابق.

[3]- وقد قال نزار قباني بعد قراءة رواية أحلام (ذاكرة الجسد ..رواية دوختني ..وسبب الدوخة أن النص الذي قرأته يشبهني ، إلى درة التطابق ، فهو مجنون ..ومتوتر..واقتحامي ..ومتوحش ..وإنساني ..وشهواني وخارج عن القانون مثلي ..

لي : هذا الكلام عيب ياابنتي..وعندما استعرض معها حادثا جنائزيا ..فإنها تتابع معي الحديث بكل تفصيل وفي كل لحظة تستدعي شيئا من مآثر موتانا التي لا تنتهي وما أكثرهم....

وللأمانة فالمسحة الدينية على منشوراتنا هي الغالبة ، وهي الغائب الأكبر ، وعلى مستوى تشخيص الداء هي سبب كل هذه الغوغائية والتشائمية والإنحطاطية ..

وفي إطار المشهد الثقافي لفلسفة الجمال سأفتح سجالا فكريا بين كانط وهيجل

هيجل :(إذا كان الفن الجميل بصفة عامة هو موضوع ملائم للتأمل الفلسفي ، فإنه ليس الملائم بأي حال من الأحوال للتناول العلمي..)[1]

ولا شك الذي يقرأ كتاب مشكلة الثقافة لمالك بن نبي ، سيجد اجتهاده وحرصه في التفكيك بين الثقافة والعلم ، على اعتبار أن الثقافة تنحو وتتجه نحو الحضارة ..

وأن العلم رغم دقته وصرامته في مادته الخام ومناهجه ، إلا أنه لا يرق أن يحل الإشكالا ت الكبرى ، إذا لم يستند بالطرح الثقافي والفلسفي ، والتي بدورها ,إن أخذت ما يميزها وما يفاضلها فهي تحتاج إلى المخبر العلمي ، دون أن تتقيد بتوصياته ، لأنه – العلم - سيكون مستنجدا بالحس الثقافي لعمقها ودسامتها وأفق

رؤيتها .. ولهذا نجد مالك بن نبي يشير إلى الخلط والذي يصفه بالخطير بين الثقافة والعلم ..

[3] ــ أولاجي واسيني : هيجل وسؤال الفن والجمال ، مجلة أبعاد ، الجزائر ، مجلد 8 ، العدد 2 ، 2021 ،

وفي جملة ما نذكره دراسة بقسم الفلسفة حول كانط من خلال الاقتراب من كتابه نقد ملكة الحكم

بأنه (يرى أن الحكم الجمالي ، أوحكم الذوق ، ليس حكما معرفيا ، وبالتالي ليس منطقيا ، بل حكم جمالي وهو ما يعني أن أساسه المحدد لا يمكن أن يكون إلا ذاتيا.)[1]

أراد كانط بكتابه نقد ملكة الحكم أن يقدم تأسيسا جديدا حقيقيا للدراسات الجمالية ، التي لم يشأ القدامى أن يرتفعوا بها إلى مرتبة العلوم الشريفة الجديرة باهتمام الفيلسوف ، كما أراد أن يقدم تحليلا فلسفيا ، يوكد بها استقلال ملكة الحكم بالجمال عند الإنسان عن ملكة المعرفة.

وإذا كان الحكم الجمالي عند كانط هو ذاتي فإنه يستند موضوعيته في الوسط الاجتماعي ، في درجة مقبولة أو عدم مقبولة..

إن الشرط في حكمنا على الجميل في رأي كانط ، هو أن للجميل سمة الكلية التي تتوفر على الرضا لدى جميع الناس[2]

(يقول كانط : الجميل هو ما يسر كليا بمعزل عن أي مفهوم..

من الواضح أن الحكم الجمالي في نظر كانط حكم عام كلي يخص الجميع..

والطابع الكلي فيه يعود إلى الذات لا إلى الموضوع .

---

[1] ـ بن حجبة عبدالحليم عبدالحليم ،الجمالية الكانطية كتأسيس حقيقي للأستيطيقا: ، ص 476

[2]- نقول رضا الناس غاية لا تدرك ولكن رضاهم بالجملة عليك هو سمة اجتماعية جمالية ذوقية..وإذا كانت الأمة لا تجتمع على ضلالة ، فالمحتمع لا يجتمع أفراده على الأخلاق الفاسدة ولا على الأذواق السقيمة..

ففي الحكم على الجميل لا يصح لأي إنسان أن يقول هذا الشيء جميل بالنسبة إليه ، بل الصحيح أن يقول إن هذا الشيء جميل ؛ فالرضا بالجميل يفترض وجوده لدى جميع الناس)[1].

يقول كانط :

حين أجد أن رضاه بموضوع ما يلازمه ، بصرف النظر عن المصلحة ، فإنه لا بد أن ينظر إلى الموضوع باعتباره ينطوي على أساس للرضا لكل الناس .

ومعنى هذا أنه لا ينبغي أن يختلف الناس إزاء الجميل ، كل حسب ذوقه الخاص ، أو ميوله الشخصية لأن له طابعا كليا يسري على الجميع ، ويدل على ذلك ما نلاحظه من اتفاق حول روائع الجمال الفني ، التي تظل تؤثر في الحضارات والاجيال المختلفة برغم من زوال الضروف الاجتماعية والنفسية التي أبدعتها.[2]

وهذا النوع من الاجماع في تقديرنا تمتلكه النفوس المنسجمة مع ذواتها والنبيلة والتي تنشد المحبة والخير والجمال للجميع ، بعيدة عن أصحاب أمراض النفوس وقاصري الفهم وما أكثرهم..

وهنا يمكن الإشارة إلى المرجعية الثقافية الكبرى لكانط ذات النفس الطويل في الدراسات النقدية ومساجلة المشهد المعرفي عقليا وعمليا وجماليا[3] .. من أجل تكملة مشروعه المنسجم مع نسقه الفلسفي.

حيث كتبنا في حقه هذه السطور : وتقريبا بإجماع من أساتذتنا وكل من أشار إلى فلسفة كانت من بعيد أو قريب :

---

[1] ـ بن حجبة عبدالحليم ، الجمالية الكانطية ، مرجع سابق، ص 480

[2] ـ المرجع نفسه .

[3]- من خلال ما درسناه انتاجا (نقد العقل الخالص = نقد العقل العملي = ملكة الحكم الجمالي)

بعد تأليف كانط لكتابه * نقد ملكة الحكم * يمكن القول أن المشروع الكانطي ، شكل ثورة شاملة حاول من خلالها تأسيس نظرية فلسفية كاملة ، على أسس عقلية صارمة ، حتى أن البعض صنف فلسفته من الفلسفات النقدية الخالدة .

فريدريك هيجل :

يعتبر هيجل من الفلاسفة القلائل الذين تعمقوا في دراسة علم الجمال ، وقد ظفر علم الجمال عنده بشهرة وإعجاب لا مثيل لهما ، ويعد هيجل أعظم معاصر في علم الجمال ، بما خلفه من مؤلفات في هذا الموضوع ، وتنصب دراسة الجمال على الفن كميدان خصب لها . إذن فلسفة الفن في مذهبه الفلسفي العام هي حلقة فيها..

فالروح المطلق في اتجاهها ، إلى المثل العليا إنما تتجه إلى الجمال ، والحقيقة ، والألوهية. ويظهر الروح المطلق حسب وجهة نظره في ثلاث صيغ هي :

=أ= الفن وصيغته المعرفة والفن ، = ب= في الدين في صيغته التأمل ، =ج= في الفلسفة في صيغة الفهم .[1]

مراحل الفن عند هيجل :

بين هيجل في كتابه علم الجمال مرتحل الفن ، وعصور ازدهاره ، حيث يذهب إلى أن الفن لما كان يمثل علاقة تقوم بين الفكرة والصورة المحسوسة ، فهو بذلك قد بدأ * رمزيا* وذلك في المرحلة الأولى من تاريخه ، المرحلة التي لا تبلغ فيها العلاقة مرحلة الاتزان النهائي للمثل الأعلى له. ثم * كلاسيكيا * الذي يكون وليد فعل المثل

[1] ـ عمرو عيلان و سامية بن طلحة: نظرية فريدريك هيجل وآراؤه في علم الجمال ، مجلة العلوم الإنسانية ، الجزائر ، المجلد 4 العدد 2 أذار 2020.

الأعلى ، أي يكون الوحدة المحسوسة الحية ، عنما تصل الديالكتيكية لها بين المرحلتين إلى الحد الذي يجعل الفكرة الانهائية لا تتحقق إلا في لا نهاية الحدس

،يكون الفن رومانتيكيا ، ذلك الفن الذي يمثل الفكرة اللانهائية ، التي لا تتحقق إلا في تلك الحركة ، وتحل في كل صورة محسوسة .[1]

وفي نظرة هيجل للفن سنجده مبني في الأساس بالتقاطعات مع المشهد الثقافي

بقوله :

عن الفن الذي يغطي بظلاله كل الأذواق واللمسات المبدعة ودفء المشاعر وأطياف الجمال...

فالفن هو مبدأ الحياة وسر وجودها ، فهو الذي يعطيها معنى وبه تتحقق السعادة ، إذا كانت الغاية هو تفسير الظواهر تفسيرا عقليا ، فغاية الفن هو البحث في أعماق الشعور واخراجه للعالم الخارجي . وبهذا تكون الذات هي نقطة الانطلاق ،إن مصدر الفن هو أعماق الذات ، ومن ثم فهو يختلف عن العلم الذي يعتبر فيه قرب الذات من الموضوع عائقا إبستمولوجيا.)[2]

ولمن يسأل عن ركن الدين فإن لم يصرح بعضهم بجلال الله الواحد الأحد فإن الإطار الثقافي تضمن كل هذه الإشارات..

يقول الدكتور مصطفى محمود الحب في كتابه(زمن العواطف المستعارة):

---

[1] ـ المرجع نفسه .
[2] _المرجع نفسه.

وما حب الإنسان للمرأة .. وما حب الإنسان للفن ، وما حب الإنسان للجمال .. إلا خطوات الدليل الحقيقي الذي يقودنا إلى الله ..إلى المحبوب الوحيد الذي يستحق الحب ، إنها محطات تسفر إلى المحطة النهائية .[1]

[1]ــ مصطفى محمود : الحب في زمن العواطف المستعارة ،

المبحث الرابع:

المبدأ الجمالي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي

في مقال بعنوان : فكرة الجمال في تصورات مالك بن نبي لصاحبه يقول :

فمالك بن نبي يعد من ابرز المفكرين الإسلاميين ، كالذين أولوا عناية خاصة للذوق الجمالي ، وما يؤديه في صياغة الثقافة وتحديد ذاتيتها . كما بين أهمية النزعة الجمالية في تحديد اتجاه الحضارة في التاريخ، وركز في دراسته للحضارة على ان الذوق الجمالي ينعكس على سلوك الفرد والمجتمع.[1]

فالنزوع الجمالي في شخصية مالك بن نبي ميول أصيلة ، زادها رسوخا المحيط الاجتماعي الفرنسي ونظامه ، إلا أن هذا الميل قد تعزز عبر معايشته لزوجته من خلال ما لاحظه في سلوكها. فالنظافة والدقة في ترتيب الأشياء وتنسيقها وفنون الأشغال اليومية ، وغير ذلك من الأعمال والسلوكيات اليومية التي كانت تقوم بها ذات المعطى الجمالي ، قد طورت لديه الإحساس بالجمال وتذوقه.[2]

إن الجمال في الدرجة الأولى هو نتاج ثقافي ، إذ كما يقول مالك بن نبي :

إن المجتمع ينتج مهما تكن درجة تطوره ، بذورا أخلاقية وجمالية نجدها في عرفه وعاداته وتقاليده ، أي فيما نصطلح على تسميته ب ثقافية في أوسع معاني هذه الكلمة ، وطبيعي أنه بقدر ما تكون هذه الثقافة متطورة ، فإن البذور الأخلاقية والجمالية تكون أقرب إلى الكمال ، حتى تصبح بالتالي القوانين المحدة التي

---

[1]- فايد لطيفة و شارف عباس : فكرة الجمال في تصورات مالك بن نبي ، مجلة مقاربات فلسفية ، المجلد 8 ، العدد1. ص 364.

[2]- المرجع نفسه ، ص 364.

يخضع لها نشاط المجتمع ، والدستور التي تقوم عليه حضارته.[1]

يقول عبد الحميد بن سالم:هاته الثقافة التي يعرفها مالك بن نبي يشكل مبسط عندما يقول :

إن الطبيب الأنجليزي يمكن أن يلتقي مع الراعي الأنجليزي في الثقافة ، ويحدث ذالك التجانس ، بينما لا نجد تجانسا بين طبيبين أحدهما عربي وآخر انجليزي من نفس صف الدراسة .

ومن هنا تبدو أهمية التعرف على الفروق بين ثقافات الشعوب وما يؤثر فيها ؛ فثقافتنا الإسلامية تقدم الأخلاق على الجمال ، وتقترب إلى نزعة الأدب الملتزم . بينما الثقافة الأوروبية تقدم الجمال على الاخلاق وتتجه نحو الفن والذوق .[2]

طبعا هذا الكلام في الوقت الحالي ليس بالدقة قوة ،التي تجعلنا نتباهى على الحضارة الغربية أخلاقا..وليس بالدقة ضعفا أن تتباهي علينا جمالا...

ولكن هي من حيث المبدأ مقاربة مبدئية تشكلت قناعتها لكاتب النظرية الثقافية لمعايشة فكر مالك بن نبي والذي بدوره عايش المجتمعات الأوروبية والعربية

والإسلامية ..ولهذا نجده يركز على فكرة التوجيه الأخلاقي الجمالي معا لترقية المشهد الحضاري.

قلت هي مقاربة مبدئية حصتنا الأخلاقية وزيد لها حصتهم الجمالية...وكثير ما كان المفكر محمد الغزالي يوضح مدى ضرورة الالتحاق بالركب الحضاري من خلال

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 365.

[2]- عبدالحميد بن سالم ، مالك بن نبي و حديث الثقافة والجمال ، موقع عربي بوست : تاريخ النشر 2022،7،2، تاريخ الزيارة 2024،6،6.

الاهتمام بالاتقان في العمل والجودة في السلع وحسن عرضها الجمالي حتى يكون لها اسما محترما في تنافس الأسواق الاقتصادي العالمي.

وإذا كان هناك شيئا من النقد فإننا سنعمد إلى التنبيه، بأن مقياس فلسفة الجمال ليس بمقياس فضولي أو مزاجي أو اكتشافي أو ثانوي ، بل يفترض أن تختار له إدارة القسم رجاله المناسبون ، حتى الذين يحاولون التملص من تدريسه ، كونه لا يدخل في صميم اختصاصهم وانشغالاتهم وفضولهم المعرفي له ، أو تم تصنيفه من علوم الأدنى كونها لا تخضع لدقة الفيزياء والرياضيات وصدق ويقينية المنطق..فمن أعلى شأن مقياس الجمال كمن أعلى شأن العلم والفكر ؛ قالجمال كفلسفة وكأسلوب حياة وكإطار ثقافي له من الرفعة بمكان..

حيث (يعتبر مالك بن نبي أن الذوق الجمالي من أهم التيمات الحيوية في مكونات الثقافة ، لأنه حسب **عزمه يحرك الهمم إلى ما هو أبعد مجرد مصلحة ويحقق شرطا من أهم شروط الفعالية ..)**[1]

يرى مالك بن نبي أن الجمال له تأثير في الروح الاجتماعية ، ويشرح هذه الفكرة بقوله ،

إن الأفكار هي المنوال الذي تنسج عليه الاعمال ، وهي تتولد من الصور المحسة الموجودة في الإطار الاجتماعي ، فتنعكس في نفس من يعيش قيه ، وهنا تصبح صورا معنوية يصدر عنها تفكيره، فالجمال الموجود في الإطار الذي يشتمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال ، يوحي للإنسان بأفكاره ، وبطبعها الطابع الخاص ، من الذوق الجميل ، أو السماجة المستهجنة ، فبالذوق الجميل

[1]ـ أسامة خضراوي : مالك بن نبي ومشكلة الثقافة . مدونة الجزيرة : تاريخ النشر ، 2 ،2019،1، تاريخ الزيارة 6،6،2024.

الذي ينطبع فيه فكر الفرد ، يد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل ، وتوخيا للكريم من العادات .)[1]

وفي كتابه مجالس دمشق أشار بن نبي لهذا العنصر داعيا الثقافة إلى أن تمدنا بالذوق الجمالي ، وتنمي فينا هذا الذوق الجمالي ، بشرط أن لا نعتقد حسب قوله بأن الإسلام قد أهمل أو زهد في هذا الجانب ، وذلك لترتيب شؤون مجتمعنا ، لأن في رأيه **أن النشوز إذا كان يحدث في المستوى الأخلاقي ، فهو يحدث أيضا في المستوى الجمالي ..**[2]

وعلى مستوى النقد فالكاتب عمر أزراج له ما يقوله :

رغم إلحاح بن نبي مركزية ودور البعد الجمالي الراقي في تحديث وأنسنة المجتمع ، فإنه لا يملك نظرية مؤسسة على إجراءات واضحة المعالم ، وذلك في صورة مشروع

متكامل كما فعل هيجل ، مثلا ضمن السياق الثقافي الحضاري الغربي وذلك في موسوعته عن علم الجمال، فابن نبي يدعو إلى الجمال حقا وهذا مهم ، ولكنه لا يقدم نظرية تستندها إجراءات عملية ونماذج متطورة وذات خصوصية في حقول المعمار والموسيقى والنحت والفنون التشكيلية الأخرى ، وأخلاقيات الحكم والسياسة والصناعات التقليدية والعلمية في مجال تصميم الحدائق والزي اليومي ..[3]

وعلى مستوى إمكانية توظيف المبدأ الجمالي في مختلف مشاهد الحياة بكل تعقيداتها وتفصيلاتها ، ولكل مظاهر القبح والبؤس والشرور ...

يقول مالك بن نبي :

---

[1]- زكي الميلاد : المسألة الثقافية ، مرجع سابق ،ص 60.
[2]- المرجع نفسه ، ص 60.
[3]- أزراج عمر : مقال : الجماليات والحضارة ، جريدة العرب بتاريخ 27،12،2015

(الجمال هو وجه الوطن في العالم ، فلنحفظ وجهنا لكي نحفظ كرامتنا .)[1]

يقول مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة ، عن المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي في بناء الحضارة:

(من هنا يتضح لنا أن المجتمع ينتج مهما تكن درجة تطوره ، بذورا أخلاقية وجمالية ، نجدها في عرفه وعاداته وتقاليده ، أي فيما نصطلح على تسميته ب (ثقافة) في أوسع معاني هذه الكلمة .

وطبيعي أنه بقدر ما تكون هده الثقافة متطورة ، فإن البذور الاخلاقية والجمالية تكون أقرب إلى الكمال ، حتى تصبح بالتالي القوانين المحددة التي يخضع لها نشاط المجتمع ، والدستور الذي تقوم عليه حضارته .)[2]

وعن هذه الصلة القائمة بين الأخلاق والجمال للطابع الثقافي والإتجاه الحضاري ، يقول مالك بن نبي **:**

إن هناك على الخصوص صلة بين المبدأ الأخلاقي وذوق الجمال ، تكون في الواقع علاقة عضوية ذات أهمية اجتماعية كبيرة ، إذ أنها تحدد طابع الثقافة كله ، واتجاه الحضارة حينما تضع هذا الطابع على أسلوب الحياة في المجتمع ، وعلى سلوك الأفراد فيه .[3]

ليخرج لنا السيد مالك في تنظيره بقاعدة رياضية قائلا :

---

[1] بن قاسم سلسبيل : الطاقة الأخلاقية الفائقة ، أوالتوتر الأخلاقي في فلسفة مالك مرجع سابق

[2] ــ مالك بن نبي : شروط النهضة ، تر : عبدالصبور شاهين ، دمشق ، دار الفكر ، ط بد ، 1986، ص 100

[3] ــ المرجع نفسه ، ص 100،101.

ويمكننا أن نصوغ هذه العلاقة في صورة جبرية هكذا :

مبدأ أخلاقي + ذوق جمالي= = اتجاه حضارة .[1]

[1]ـــ المرجع نفسه ، ص 101.

الفصل الثالث :

البعد الفلسفي العملي والصناعي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي

ويتضمن أربعة مباحث :

رقم 1- علاقة فلسفة العمل بالمشهد الثقافي .

رقم 2- المنطق العملي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي.

رقم 3- علاقة فلسفة الصناعة واليومي بالمشهد الثقافي

رقم 4- الجانب الصناعي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي.

المبحث الأول:

علاقة فلسفة العمل بالمشهد الثقافي

وهنا بين أيدينا كتاب ب(عنوان سؤال العمل) للفيلسوف المغربي العالمي *عبدالرحمان طه * وعلى صفحة الكتاب هذه الإشادة :

إذا كان سؤال الأخلاق للفيلسوف طه عبدالرحمان ، تميز بتقديم الأخلاق على العقل المجرد محددا بها ماهية الإنسان ، فإن كتابه الجديد سؤال العمل يتميز بتقديم العمل على النظر المجرد ، محددا به هوية الإنسان.

وبما أن الكتاب الذي يعتبر دراسة وافية وشافية في ثقافة فلسفة العمل الذي لقي إشادة من الأوساط العلمية فالدليل على ما انتهت إليه دراسته في كتابه سؤال القيم في طرح السؤال في علاقته بالجانب الفكري ...فإننا سنجعل من سؤال عمله من زاويته الأخلاقية التي أخذت حقها ولو بنسبة المراهنة المبدئية في ثقافة فلسفة الأخلاق كنموذج فعال وحاسم وفي نفس الوقت يغنينا عن التشعبات ..وفي تقديرنا الأخلاق العملية هي النقطة المركزية لفلسفة العمل وغير ذلك تفصيل قد يحجب عنا فقه الأولويات والمفاصل المركزية في التأصيل للفكرة التي نود طرحها على بساط مبحثنا: علاقة فلسفة العمل بالمشهد الثقافي ..

يقول الفيلسوف المغربي طه عبدالرحمان في الفصل الثالث بعنوان الأخلاق العالمية مداها وحدودها : يقتضي منا النظر في مفهوم * الأخلاق العالمية * تحليلا وتقويما أن نمهد له بيانين مختصرين أحدهما مفهومي والآخر تاريخي.[1]

[1]- طه عبدالرحمان : سؤال العمل ، بحث عن الاصول العملية في الفكر والعلم ، المغرب ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2012.ص111.

ولا شك المستفيد الأكبر هو التداخل بين الفلسفة الإنسانية من جهة والثقافة العالمية من جهة أخرى من زاوية العمل أو قل أخلقة العمل ونشر القيم الإنسانية عمليا وهذا دلالة على الارتباط والتشابك الكبير حيث لا يمكن الحديث عن العمل إذا لم نتحدث عن أرضيته الأخلاقية ..ولا يمكن الحديث عن الأخلاق إذا لم نتحدث عن أرضيته العملية وترجمة ذلك في سلوكنا الحضاري ممارسة وفعالية وللأمر تقاطعات في ارتباط ملف الأخلاق بالجمال كما تحدث عنه مالك في إطار الحضارة ولكن مقتضى الحال هنا سنركز على فلسفة ثقافة العمل أخلاقيا وقيميا..

يقول طه عبدالرجمان في = سؤال العمل = من خلال بحثه عن الأصول العملية في الفكر والعلم :

(البيان المفهومي يتعلق هذا البيان بالفرق بين مفهوم * الأخلاق العالمية * ومفهوم آخر يدل هو أيضا على تناول الأخلاق لأفراد الإنسانية جميعا ، وهو

* الأخلاق الكلية*..

فالمقصود بالأخلاق الكلية : هو الأخلاق التي تولى المفكرون والفلاسفة وضع أصولها وترتيب قواعدها على أساس أنها أخلاق عقلية وموضوعية بحيث يتعين

على كل فرد إنساني الأخذ بها من أراد الاستقامة في سلوكه أو طلب السعادة في حياته ، ولنضرب عليها مثالين هما:

(أخلاق الواجب ، التي أنشأها الفيلسوف ، إيمانوئيل كانط) و(أخلاق المنفعة، التي وضع أركانها الفيلسوف والقانوني والأنجليزي ، جيريمي بنتهام، ووسعها خلفه الفيلسوف الأنجيزي ،جون استوارت مل)..)[1]

[1]- المرجع نفسه ، ص 111.

وبهذا تتصف * الأخلاق الكلية * تصنيفات ثلاث أساسية هي :

أولا: أنها أخلاق نظرية في طبيعتها ، إذ يتم استنباطها بالنظر العقلي المجرد من مبادئ مسلم بها ؛

وثانيا : أنها أخلاق أحادية في مصدرها ، إذ يستقل بها الفيلسوف ، حيث إنه لا يتقيد في وضعها بحصول الاتفاق عليها مع غيره .

وثالثا : أنها أخلاق علمانية في توجهها ، إذ أن واضعها يجتنب أن يبني أحكامه ونتائجه على مسلمات مأخوذة من الدين أخذا مباشر أو ظاهرا .[1]

أما * الأخلاق العالمية * فليست بهذه الأوصاف قط ، بل إنها تتصف بأضدادها ، فهي أولا أخلاق ذات طبيعة عملية ، إذ تستقرأ من التجربة الأخلاقية الحية للإنسان.

وثانيا: أخلاق ذات مصادر متعددة ، حيث تشترك أطراف كثيرة في تحديد قواعدها

وأحكامها ؛ وثالثا : أخلاق ذات توجه ديني ، إذ أنها تستقي قيمها ومبادئها من الأديان المختلفة .[2]

وفي إطار الحدبث عن تحليله مضمون إعلان الأخلاق العالمية يفترض أن يكون احترامه من الجميع ولا تحدث فيه استثناءات كما هو حاصل في الشأن الفلسطيني وحق الفيتو الظالم من أمريكا التي تبدو أنها داعمة في كل الأحوال إسرائيل سواء كانت ظالمة وهي مدركة ، أو ظالمة وهي تلعب دور الضحية ؟؟ وكما يقول عبدالوهاب المسيري ، فقوة إسرائيل مرتبط بمصدران خارجيان ، الأول هو الدعم غير المحدود من الولايات المتحدة ، والثاني هو اللامبالاة غير المحدودة للدول العربية .

---

[1]- المرجع نفسه ، ص112.

[2]- المرجع نفسه ، ص112.

وفي تحليله مضمون إعلان الأخلاق العالمية ومدى تطابقها بين العمل الديني والسلوك الخلقي الإسلامي من خلال مقاصده وكلياته

جاء بهذا الاختصار : للفيلسوف المنتج للفلسفة الدكتور طه عبدالرحمان :

فالإلتزام بثقافة الإيمان واحترام الدين يقابله حفظ الدين

والالتزام بثقافة المسالمة واحترام الحياة يقابله حفظ النفس

والالتزام بثقافة التسامح وبالصدق في الحياة يقابله حفظ العقل

والالتزام بثقافة التضامن والنظام الاقتصادي العادل في الحياة يقابله حفظ المال

والالتزام بثقافة المساواة في الحقوق والشراكة بين الجنسين يقابله حفظ النسل.[1]

وبالنسبة لمفهوم الكرامة في الحضارتين ، فعندهم من خلال كانط بالنيابة عن باقي منظريهم :

(الكرامة : المعنى الذي وضعه الفيلسوف الألماني البروتستنتاني إيمانئيل كانط

الكرامة هي القيمة التي تورث الشخص الإنساني في الحق في التمتع بمعاملة تجعل منه غاية في ذاته لا مجرد وسيلة لغيره)[2]

وبلمقابل عندنا من خلال المرجعية الإسلامية:

(فقد نستنبط من النص القرآني تعريفا للكرامة لا تدخل عليه الشبه التي تدخل على التعريف العلماني الذي أتينا على ذكره ، وصيغته كما يلي : الكرامة هي القيمة التي تجعل من الخلق الآدمي آية دالة على الفطرة ، لا مجرد ظاهرة متمتعة بالحياة .)[1]

---

[1]- المرجع نفسه ، ص117 ، 118. اختصارا وتصرفا بسيطا .
[2]- المرجع نفسه ، ص 271.

وقد جاء تعريف القيم : (كما يعرفها = أنتوني=

من العناصر الجوهرية في جميع الثقافات حيث أن منظومة القيم أو الأفكار المجردة هي التي تحدد ما هو مهم ومحبذ ومرغوب في المجتمع وهي التي تضفي معنى محددا ، وتعطي مؤشرات إرشادية لتوجيه تفاعل البشر مع العالم الاجتماعي .)[2]

وعرفت في مقام آخر بأنها مبادئ وضوابط تحدد تصرفات الأفراد والجماعات أخلاقيا ونفسيا وتاريخيا ، وهي عبارة عن مقاييس يضعها الفرد للتأثير في الظواهر والعمليات الاجتماعية [3]

كما جاء في مقام آخر فإن قيام العمل يمكن اعتبارها مجموعة من القيم والمعايير والمبادئ التي تحكم سلوك الفرد في عمله وتوجهه ، وتشكل معيارا للصواب والخطإ أو الحلال والحرام ، ويعتبر الخروج عليها تحت طائلة المسؤولية.[4]

والقيمة هي نقيض اللامبالاة وهي مرتبطة ارتباطا تلاحميا بالمعتقدات والإيمان حيث قال * روكاش * أنه ثمة ثلاثة أنواع من المعتقدات تحددها كما يلي :

=المعتقدات الوصفية أو الوجودية ، مثل موجود أو غير موجود ، أو صحيح أو خطأ.

= المعتقدات التقييمية ، مثل : حسن أو قبيح ، أو جيد أو رديئ.

---

[1]- المرجع نفسه ، 273، 274.

[2]- - وحدي نبيلة : مقال : العمل والقيم وإشكالية الإلتزام ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية ، قسم الآداب والفلسفة ، العدد12 ، جوان 2014.

[3]- المرجع نفسه.

[4]- المرجع نفسه .

= المعتقدات الإلزامية ، مثل : هذا يجب القيام به ، وذلك لا ينبغي القيام به .[1]

وقد قرأت لمالك حكمة بليغة سأحورها على حسب مفادها : وهي أن توفير البيئة للفكرة لنجاحها أكثر من الفكرة ذاتها..والأمر لايحتاج إلى إقناع فقد أدرجت صعوبة عدم الاستفادة من خزانتي المعرفية كوني لا زلت أناضل من أجل توفير البيئة المناسبة بقدر الأهمية لكسب المعيشة الحلال...

وعملية تكوين القيم لا تقل أهمية عن المعلومات التي تزوده بها ، فالقيم طاقات للعمل ، ودوافع للنشاط ومتى تكونت القيم المرغوب فيها لدى الإنسان ، فإنه ينطلق

إلى العمل الذي يحققها ، وتكون بالتالي بمثابة المرجع أو المعيار الذي نقيم به هذا العمل ، لنرى مدى تحقيقه لها [2]

ولعل أهم وظائف العلم ما يلي :

1= التوجيه = حيث إن القيم تؤثر على اختيارات الفرد وعلى الاقبال على على العمل بشكل حاسم

2= استقرار الحياة الاجتماعية وتوازنها=

حيث إن القيم المهنية على المجتمع كثيرا ما تكون عاملا من عوامل توازنه واستقراره .

3= التقييم =

حيث تتخذ القيم معايير لتقييم الأعمال والتصرفات والسلوكات والأشخاص والأشياء .

---

[1]- المرجع نفسه .
[2]- المرجع نفسه .

4= تكوين وحدة ثقافية =

حيث تعمل القيم على توحيد الرؤى ، باقتراح أسس نظرية تتخذ مراجع يجري التقيد بها.[1]

وفي الأخير جلب انتباهي الزلزال الكبير في التوصيف والاختزال الفكري من خلال الأسطر الأخيرة لطه عبدالرحمان في الملحق الثاني من خلال السؤال :

كيف نحدد النظر في الصلة بين العلم والفكر ؟

ومثلما تم اعتبار الأخلاق قيمة عملية ، أكثر من كونها عقلية وتنظيرية ، فإن الجانب العملي المثمر والفعال ، ستكون أرضيته الصلبة التخطيط ، التي بدورها ستعتمد على رؤية علمية وفكرية بالأساس ...

وهنا أذكر شيئا من مناقشاتي مع أحد الأصدقاء في رحلة تحسين الدخل باقتحام ميدان العمل فكانت فكرته تنتصر لوجود عامل المال، وفكرتي تنتصر لوجود الأفكار وأيا من كان مصيبا فإن الفكرة في الدول التي تحترم نفسها هي رأس مال غال ونفيس وتأخذ عنه التقدير المعنوي والتقدير المادي ...

وفي سيرة الملوك القدماء :

إن الملوك القدماء إذا أرادوا حكم بلادهم اهتموا أولا بمنازلهم ، وإذا أرادوا الاهتمام بمنازلهم بدؤوا بتنظيم شؤون أنفسهم ، وإذا أرادوا تنظيم شؤون أنفسهم ، بدؤوا بتقويم قلوبهم ، وإذا أرادوا تقويم قلوبهم ، بدؤوا بجعل تفكيرهم خالصا ، وإذا أرادوا جعل

[1]- المرجع نفسه .

تفكيرهم خالصا ، بدؤوا برفع مستوى معلوماتهم إلى القمة ، ورفع هذا المستوى إلى القمة هو إدراك الأشياء .)[1]

ولهذا يقول أحد المفكرين ، عن فلسفة التفكير كونه يدخل في صلب وأعماق وأجل الأعمال قائلا :

(إن التفكير أصعب الأعمال ، وهذا هو السبب في القليلين هم الذين يختارونه كعمل)

ومن بين التعريفات الخاصة لمصطلح الفكر ، والتي نستثمر فيها في هذا الفصل الذي فرضه منطق مالك بتسميته بمنطق العمل ، كون الفكر هو :

(جملة النشاط الذهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة ، أو أسمى صور العمل الذهني ، بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق)[2]

وحتى لا نحرم أنفسنا بخلخلات طه الفلسفية فإننا سنبدأ بتبيانه التالي :

لقاعدته المركزية : ليست كل معرفة علما ، ولا كل عقل فكرا .[3]

ويمكننا القول إذا كان الجدل واقع بين الفلسفة والثقافة ...وقبلها واقع بين العلم والثقافة..فإن الجدل الأكبر سيقع بين العلم والفكر .. وسيكون الجدل الأكبر بين الثقافة والفكر وربما كل هذا سيعود بالنفع على المشهد الثقافي الذي يعمل بصمت ، ولا يتحرك حتي يحتدم الصراع في كل الاتجاهات حينها سيكون ـ المشهد الثقافي ـ الملجأ والمنقذ كونه يشكل الخلفية والمرجعية ..

---

[1]ـــ حنا الفاخوري و خليل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ، الجزء الاول ، مقدمات عامة ، الفلسفة الإسلامية ، بيروت ، دار الجيل ، ط3، 1993.. صفحة 34

[2]ـــ محرر ... ، حرية الفكر بين المفهوم والتطبيق ، جريدة المدينة ، موقع ، عربي بوست ، https://www.al-madina.com/ تاريخ النشر ، 19افريل ، 2017 الرابط ،

[3]- طه عبدالرحمان : سؤال العمل ، مرجع سابق ص 303.

قائلا طه عبدالرحمان :وفي الختام : نستجمع النتائج التي توصلنا إليها بصدد العلاقة بين العلم والفكر في ما يلي :

= أن العلم ليس له تصور واحد ، وإنما تصورات ثلاثة بعضها أشمل من بعض :

أ/ التصور الضيق ، وهو يحصر العلم في بحث الحقائق الطبيعية .

ب/ التصور الواسع ، ويجعل من العلم بحثا في الحقائق الطبيعية والسلوكية .

ج/والتصور الأوسع، ويجعل منه بحثا في الحقائق الطبيعية والسلوكية والاعتقادية .[1]

وأن الفكر ليس له نوع واحد ، وإنما أنواع ثلاثة بعضها أكمل من بعض :

أ/ التفكير : وينظر في المنافع المادية

ب/ والافتكار : وينظر في المنافع الخلقية .

ج/ والتفكر : وينظر في المنافع الروحية .[2]

أن العلم يكتسب مشروعيته من الفكر ، إذ يرث عنه اعتبار المنافع .

كما أن الفكر يكتسب من العلم مصداقيته ، إذ يرث عنه اعتبار الحقائق .

أنه لا علم بغير فكر ؛ إذ لولا الفكر ، لخلا العلم من كل منفعة .

كما أنه لا فكر بغير علم ، إذ لولا العلم ، لخلا الفكر من كل حقيقة .[3]

= ليخلص عبدالرحمان طه=وهكذا فإن العلم:

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 312

[2]_ المرجع نفسه ، ص 312

[3]- المرجع نفسه ، ص 312.

في التصور الضيق يتضمن التفكير..

وفي التصور الواسع يتضمن الافتكار ،

وفي التصور الأوسع يتضمن التفكر .[1]

ولهذا نجد الغزالي يقول في حكمته البليغة ، والتي استثمر فيها كثيرا طه عبدالرحمان في كتابه سؤال العمل :

عمل بلا علم لا يكون وعمل بلا علم جنون .[2]

وقد يكون الجنون الذي ليس معه حل إذا حاولنا أن نترك العمل يسير بدون قدم العلم وقدم الفكر أو يسير بهما دون أن تكون روحه مشبعة بررح الثقافة فهذا ضرب من

الجنون التي لا علاج لها وإن اجتمع كل أطبة العالم للاستنجاد بهم لم يفعلوا لها شيئا .

وربما هذه الأسطر تصلح للخاتمة لهذا المبحث في علاقة فلسفة العمل بالمشهد الثقافي _ والفكري _ كنيجة متوصل لها بفضل من تم الاستمداد منهم المدد وهم في قامة الفيلسوف المنتج للفلسفة طه .

ولكن آثرنا التوازن لهذا الفصل حتى يكون مقدمة لمنطق العمل الذي تمسك مالك بتمييزه بهذه الصفة .أي بصفة المنطق .

واجمالا إذا كانت هذه المقاربة = ل طه = وصلت إلى تلك النتائج

[1] ـ المرجع نفسه ، ص312

[2] ـ ولأبي حامد الغزالي لفتة بليغة في رسالته بعنوان أيها الولد ص23،24 [أيها الولد : لو قرأت العلم مائة سنة ، وجمعت ألف كتاب ، لا تكون مستعدا لرحمة الله تعالى إلا بالعمل .]

فإن الترابط الحميمي بين الفلسفة والثقافة لا يختلف عن التداخل العميق والمعقد في شأن الثقافة والفكر ، حيث لا يمكن أن نتصور إحداهما تعمل بمعزل عن الآخر .

ما يجعلنا أمام جبهة تتكون من أربعة جنود : العلم والفلسفة والفكر والثقافة.

تعمل جنبا بجنب لا يمكن لأحد أن يدعي لنفسه السيادة والسلطة .

لكن إذا أردنا مؤاثرة إحداهم فإن الثقافة لن تدخل معهم في منافسة بغض النظر عن كونها ستربح أو ستخسر بحكم طبيعتها ..ما يجعلها مرشحة للقيادة أو قل للحديث عنهم لأنها تعتبر نفسها باعترافهم الخلفية والحصن المنيع والحضن الدافئ .

حتى أني أذكر قصة قد تقرب لي ما أردت أن أذهب إليه في تمييز الثقافة عنهم ،

وذلك بدخول كلا من المال والعلم والشرف في منافسة ، هذا الأخير هو من كان له

شرف أن يتبعه العلم والمال ، لأنه دون شرف لا يمكن أن تكون قوة مادية بمالها ، ولا قوة معرفية بعلمها.

فكذلك الثقافة ونحن نتحدث هنا عن ثقافة العمل وعلاقة فلسفة العمل بالمشهد الثقافي ، إن لم تعط لها أولوية تسيير أسلوب حياتنا فإنها سرعان ما تنتقم لنفسها وتفضح كل مدعيها. أو أدعيائها بلغة مالك بن نبي ..

وإذا كان ولا بد أن أضيف سطرا حاسما فالثقافة هي من تمارس الوصاية الفكرية على المشهد الفلسفي والعلمي والثقافي والحضاري.

المبحث الثاني :

منطق العمل في نظرية الثقافة لمالك بن نبي

مالك بن نبي ، نحات مصطلح الحضارة وغيرها ، هو من فاضل تسمية هذا التوجيه بالمنطق العملي ، وكأنه أراد أن يجعله في الدقة والسعي للحقيقة منطقا ، وإلا لا يرق لدرجة تسميته بالعمل في ظل الإدعاءات التي نحملها تنظيرا وقولا ولا تجد طريقها على أرض الواقع عملا وفعالية ...

وهو القائل :

(قد يكون الإغراق في التنظير شكلا من الاسراف في التفكير الذي يرهق العقل بلا جدوى وذلك عندما يبقى التنظير مجردا من العمل ، خاليا من التطبيق ، وقد يكون الاسهاب في تشخيص المشكلات وإعمال العقل على تسطير حلول لها ناتج عن فراغ في معاني الحياة ، بالأخص بالجانب العملي منها .)[1]

وفي هذه اللحظات أستمع لواحد من مدربي التنمية البشرية التي وإن قللنا منها شأنا بعدما حرف سالكيها إدعاء طريقها لكسب المال والوجاهة ، نعود لها من خلال الطريق الصحيح لها ، وقد جاء في هذا المقطع اختصارا:

وهناك مبدأ في التنمية البشرية : أنت لا تتحسن تلقائيا بل تتحسن فقط لأنك بشكل متعمد تقرر أن تتحسن ..عليك أن تتحول من شخص ذو نوايا حسنة إلى شخص ذو أفعال جيدة ..هذا هو الفاصل العظيم.

[1]- معاذ درادكة ، : المنطق العملي كفكرة جوهرية في فكر مالك بن نبي .، موقع إسلام أون لا ين : https://islamonline.net/

يقول معاذ درادكة :

الكاتب الراحل مالك بن نبي تطرق إلى هذه الفكرة في أكثر من موضع في كتاباته ، وكان لها التركيز الجوهري في كتاباته لشروط التقدم والنهضة ؛ ففي كتابه (مشكلة الثقافة) يعتبر أن غياب المنطق العملي يسبب كثير من الكلام في تشخيص المشكلات ، وكثرة اقتراح الحلول لها ؛ إذ كل واحد يرى الموضوع من زاوية

تعكس ثقافته ورؤيته وتجربته ، والنتيجة كثرة التنظير ، أو على حد تعبير مالك بكثرة الثرثرة ،

إذ يقول في الكتاب (مشكلة الثقافة)

أنه عندما يغيب المنطق العملي تكثر الثرثرة[1]

وبالإضافة إلى كتابه السابق ففي كتابه (مشكلات الحضارة / شروط النهضة) وضمن العنصر الأول الذي هو الإنسان ، يفرد عنوان خاص بعنوان المنطق العملي

إذ يقول : **ونحن أحوج ما نكون إلى هذا المنطق العملي في حياتنا ، لأن العقل المجرد متوفر في بلادنا ، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه فشيئ يكاد يكون معدوما .**

وهو يحذر من اللافاعلية إذ يقول : **إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من " اللافاعلية " في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمقالات الهازلة .**

ويصل إلى استنتاج قد يكون مثيرا للانتباه إذ يقول :

إن المجتمع الإسلامي يعيش طبقا لمبادئ القرآن ، ومع ذلك فمن الأصوب أن

[1]- المرجع نفسه .

نقول إنه يتكلم تبعا لمبادئ القرآن ، لعدم وجود المنطق العملي في سلوكه الإسلامي .[1]

ومن هنا يحق لنا تقييم النظرية الثقافية عند مالك ، رغم كوننا لم ننهي فصولها ، لأننا أمام حضرة (منطق العمل : الحاضر تنظيرا ، والغائب عملا)

وحتى مالك نفسه يصرح عن مشكلات منطق العمل عندنا حيث:

يرى أن ما ينقصنا هو هذا الجانب بالذات إذ يرى في نفس الكتاب : مشكلات الحضارة لشروط النهضة..

الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ، ولكن منطق العمل والحركة ، فهو لا يفكر ليعمل ، بل ليقول كلاما مجردا بل أكثر من ذلك فهو أحيانا يبغض أولئك الذين يفكرون تفكيرا مؤثرا ، ويقولون كلاما منطقيا من شأنه أن يتحول في الحال إلى عمل ونشاط[2]

بقول مصطفى محمود : من كل عشرة أفراد في العالم العربي ، واحد يعمل بإخلاص ، واثنان يشكرانه على عمله ، وثلاثة يشككون في نواياه ، وأربعة يقولون له يوميا ، لن تنجح .[3]

و**لهذا** فالجميع يستطيع مشاهدة الأمور المهمة ، لكن القليل من يندفع لتحقيق الأهم ، والنادر من يعط الأولوية للأشياء التي لا تبدو ذات أهمية ، لكنها عندما تتجمع مع

---

[1]- المرجع نفسه.

[2]- المرجع نفسه .

[3] ـمصطفى محمود : جريدة الشروق اليومية الجزائرية ، العدد 5101.

الأيام فإنها تحجب الرؤية بالتمام ، وتحرمنا من التحرك في إنجاز ما نراه مهما ، ناهيك عن الأهم ، والمصيبة العظمى أننا نقلل من شأن الطموحين والجادين والساعين لتحقيق أمانيهم ، ولسان حالنا يردد قصة الثعلب الذي لم يستطع الوصول إلى العنب متحججا بكونه حامض ، والحقيقة أننا عاجزين على تأدية المهام البسيطة ، التي يفترض بإنجازها المتواصل يحدث التراكم الإيجابي الذي يؤهلنا لإنجاز المهام المهمة .

وإذا راجعنا القرارات المهمة التي اتخذناها في مسيرة حياتنا .. لوجدناها تعد بأصابع اليد الواحدة ؛ كاختيارنا لنوع العمل ، الذي يشكل مصدر رزقنا ، وليس بالضرورة مرتبط بالشهادة وإن علا شأنها ،ونوعية الصحبة التي بها يستأنس الخاطر ويحقق معها الإطار الاجتماعي المدني ، أو تستأنس بها المصالح المتبادلة ، أو الاقتراب

من مجموعة بذاتها ، بحكم القواسم المشتركة مهنيا أو تجاريا أو سياسيا أو علميا أو ثقافيا أو بمستلزمات المصلحة الآنية ..كل على حسب ميولاته و تموقعاته ونظرته

لهذا النوع من المزاحمة والمصاحبة ، والسعيد من قلل النفاق بكل أشكاله وألوانه

وكان فاعلا ونافعا .. ونوعية الشريك الذي يقاسمنا الحلو والمر ؛ مع أنها شراكة اقتصادية بامتياز ، لا مكانة فيها رهانا على العواطف التي ستعصف في أول يوم لا تستطيع تأدية واجبك الأسري ماديا ، والسعيد من استحضر رحمة القلوب ليحافظ على كيان أسرته ، وتبق في الأخير النظرة الواقعية هي السيدة التي ترسم لصاحبها الأحلام الوردية ، وعلى أرض الواقع تبتليه بالوقائع الرمادية ،

وفي زحمة التكوين الذاتي ماديا ومعنويا ونفسيا ومعرفيا وإنسانيا ، تكون الأعشاب الضارة قد فعلت فينا فعلتها ، من خلال القرارات الخاطئة والمؤجلة ..

تزداد تلك الأعشاب صلابة وضراوة وصعوبة في تقليمها ، لأنها أضحت جزءا من حياتنا ، بل من شدة تعودنا بها نستسلم لها كل الاستسلام ؛ لما تمثله لنا بمنطقة الراحة بتعبير أصحاب التنمية البشرية ..

وفي لحظة فارقة وفاصلة ، تجد نفسك لا تستطيع أن تتقدم خطوة واحدة إلى الأمام ، حتى تتخلص من تركة هذه الأعشاب الضارة ، وهذه الطفيليات المحيطة بدائرة حياتنا . وهنا تأتي القرارات الشجاعة والمؤلمة ، كأن تقلل من طيبتك الساذجة ، وتنتبه لكل ابتزاز كان يمكنك أن توقف زحفه من بداية إثارة رمله التي كنت تتحملها بحكم إمكانية رؤية الأشياء ، إلى أن حجب عنك الرؤية تماما ، أو تتنازل عن صحبة مبددة للطاقة ومشوشة لإطارك الفكري ، وما أكثر نصحهم الخير وهو في صميمه كل الشر ، أو تحيي مشروعك المنسي تحت طائلة اكتمال الأسباب التي من طبيعتها لا تكتمل ، مستنزفا أوقاتك وتأجيلاتك باسم تجاوز ما يسمى بالعائق الوحيد.

أو تفصل عموما في قراراتك المؤجلة والمتردد في البث فيها ، حتى تصفي ذهنك من حمولة ثقيلة لا معنى لها ..

وكأنك في رحلة استعجالية من أجل تجديد الطاقة والأنفاس والدماء والخلايا والشباب .. بحثا عن الأكسجين النقي والبيئة الطيبة الذي بهم تواصل حياتك، بشخصيتك الحقيقية المتقاطعة والمنسجمة مع صوتك الداخلي وندائها الفطري .

وفي ظل سياسة الترقيع فالفرد عندنا ينتظر من المجتمع يتغير ، والمجتمع بدوره ينتظر من الفرد يتغير ليتغير ، فلا هذا تغير ولا ذاك تغير .. والكل قد آنسته منطقة الراحة المألوفة ، ولا أحد مرتاح في عمقه .. الشيء الوحيد الذي تغير هو ملكة الترقيع والانتظار ، وهنا يحرجنا الحكيم بحكمته :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا = فلا دين يبق ولا ما نرقع .

وحتى نترك الحكم عند المفكر مالك صاحب الفكرة في منطق العمل لنظريته الثقافية وهي الآن تجاوزنا بها التوجيه الأخلاقي والمبدأ الجمالي ونحن في منطق العمل لنشق طريقنا إلى الجانب الصناعي الفني والعلمي وكل ما له علاقة بالفلسفة واليومي ..

حيث يرى (ابن نبي أن **ليس من الصعب على الفرد المسلم أن يصوغ مقياسا نظريا يستخرج به نتائج من مقدمات محددة ، غير أنه من النادر جدا أن يعرف المنطق العملي ، أي استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة بوسائل معينة .**[1]

وإن كنا نردد الحكمة المحرجة : فاقد الشي لا يعطيه .

وذلك كونها تجعلنا خارج التصنيف ، في ممارسة أدوارنا بما يقتضيه السلوك الحياتي السوي ، والسلوك الحضاري ، بل حتى السلوك في أبسط أبجدياته ..

وللحصيلة المعرفية الدور الحاسم في كثير من إشكالاتنا في الحياة ،

(إن الحصيلة المعرفية لدى الإنسان لها أثر كبير في تصوراته ومعتقداته وأحكامه صحة وبطلانا .. فبقدر ما تكون حصيلته المعرفية مكتملة الأسس ، سليمة البنيان ، منتظمة العلاقات ، تكون صحة تصوراته وتصديقاته .. وبقدر ما تكون حصيلته

المعرفية ناقصة الأسس ، مهددة البنيان ، مقطعة الأوصال ، يكون بطلان تصوراته وتصديقاته ..)[2]

---

[1]- زكي الميلاد : المسألة الثقافية ، مرجع سابق ، ص 61.

[2] ـ مقدمة العدد ، مجلة منتدى التوحيد ، العدد الخامس 5 ، مجلة شهرية تاريخ 29أفريل 2008

المبحث الثالث:

علاقة فلسفة الجانب الصناعي وفلسفة اليومي[1] بالمشهد الثقافي.

قد لا أكون دقيقا في الانسجام في ما تم إضافته إلى التوجيه الصناعي والفني فلسفيا بالفلسفة واليومي ولكن بعدما قرأنا النظرية في عنصرها الرابع والذي به أقفل مالك بن نبي نظريته، كان فهمنا لها وجهته نحو الفلسفة واليومي ، الذي درسناه كمقياس ثانوي دون أن نكتب سطرا واحدا - أو ربما كنت من الغائبين في زمن كورونا – وقد تبين لي مع الأيام جلاله وعظمته _ على أمل أني لم أتجاوز بهذا حد الأدب ، كوني وصفته إعجابا بهذ الوصف _ فاقت حتى التي كنا نظن لها الريادة كلاسيكيا لهول المعرفة والتنظير الذي خصصه الفلاسفة له والذي وصل ببعضهم أن يكون ميدانا لاختصاصه كأمثال:

هنري لوفيفر :

صاحب المشروع الضخم الذي أطلق عليه تسميتة = نقد الحياة اليومية = الذي يتوزع في ثلاثة أجزاء.

---

[1]- مالك بن نبي لم يشر للفلسفة واليومي ، ولكن من يقرأ الفصل الرابع في نظريته للجانب الصناعي الفني العلمي ، وكأنه يشق طريقة لمحتويات الفلسفة واليومي.
وهنا لفتة في غاية الأهمية يذكر زكي الميلاد ،الذي كان أحد أهم المفاتيح لولادة هذه الرسالة ، من خلال كتابه المسألة الثقافية ، في الصفحة 63 (ولا أدري إن كان ابن نبي متعمدا في عدم الإشارة إلى المصادر والمراجع أم لا، وما حكمته في ذلك ، لأن من الصعب الجزم بعدم وجود مثل هذه المصادر والمراجع .... وكان جواب الدكتور عبدالصبور شاهين عن سؤالي : أن ابن نبي كان يعتبر ما أنحزه من أفكار ونظريات ومفاهيم ، على أنها تأملات من عنده ، ومن وحي فكره ، وإبداع عقله .)

وهنا نذكر بعضنا بالنص الأصلي في كتاب مشكلة الثقافة ، ص88/ التوجيه الصناعي الفني :

لا نعني بالصناعة ذلك المعنى الضيق المقصود من هذا اللفظ بصفة عامة في البلاد الإسلامية ، فإن كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيق العلوم تدخل في مفهوم الصناعة .والراعي نفسه له صناعة...

ومن المسلم أن الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده ، ولكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه ؛ وعليه فيجب أن نلاحظ في كل من هذين الاعتبارين .

وقد ذعا مالك إلى : **ضرورة إنشاء مجلس للتوجيه الفني ليحل نظريا وعمليا المشكلة الخطيرة للتربية المهنية تبعا لحاجات البلاد.**

والواقع أن الاختراعات والاكتشافات في ميادين المعرفة المختلفة ، أصبحت سلسلة إن عرف أولها أحيانا ، فإن نهايتها لا يمكن أن تعرف ، إن كانت لها نهاية ، ولعل أبرز ما يوضح هذا ، ما نراه من نمو العلوم المختلفة وتوسعها ، النظرية منها والعملية ، على خلال فترة قصيرة من الزمن بحيث بلغت خلال المائة سنة الأخيرة أضعاف ما بلغته في خلال ألوف السنين من تاريخ الإنسانية ، سواء كان ذلك في كميتها أو نوعيتها ، والحقيقة أن هذه الفترة هي الفترة الأكثر إنتاجا وابتكارا في تاريخ الإنسانية[1]

ومن بين التعريفات المدرجة للثورة الصناعية :

[1]— هيز ، كارلتون : الثورة الصناعية ، تر : أحمد عبد الباقي ،بغداد ، مطبعة العالي ، ط1، 1950، ص 7.

(بأنها تغيير أساسي ، أو سلسلة من التغيرات الأساسية في طرق الصناعة ، نقلت الجماهير من الحرف الزراعية الموروثة ، إلى أساليب جديدة في العمل والسفر والمعيشة .)[1]

ولهذه الثورة مظاهر عدة منها :

ـ 1 استخدمت الآلات الميكانيكية في الزراعة ، كاستخدامها في الصناعة والتجارة .

ـ 2 استفحلت الرأسمالية بتعضيدها التجارب في ميدان الفن الصناعي ، وكنتيجة للإنتاج الميكانيكي .

ـ 3 ازدياد عدد أفراد الطبقتين الاجتماعيتين الوسطى (البورجوازية) والعمال

(البروليتاريا) ازديادا عظيما وأصبح لكل منهما عمل يختلف بوجه واضح عن عمل الأخرى .[2]

وللثورة الصناعية عوامل فكرية وسياسية واقتصادية ، هذا الأخير ـ العامل الاقتصادي ـ يتجلى في :

(أـ الثورة الزراعية ، ب ـ رؤوس الأموال ، ج ـ ظهور الطبقة العمالية)[3]

ومن نتائج الثورة الصناعية :

النتائج الاجتماعية : ـ زيادة الثروة ، ـ نمو السكان ، ـ التقدم المادي .

1ـ المرجع نفسه ، ص 12

2ـ المرجع نفسه ، ص 12و13

3ـ علي ربروب ، عبدالله سبقاق ، الثورة الصناعية وآثارها على الحركة الاستعمارية الأوروبية حتى مؤتمر برلين، مذكرة ماستر ، جامعة غرداية ، 2018

النتائج السياسية : ـ ظهور الاتجاه الليبيرالي الذي ينادي بتطبيق المبادئ الدستورية النيابية ، وذلك بإشراك أكبر عدد ممكن من الشعب في الحكم ، وساعد على تقوية هذا الاتجاه ظهور الحركات العالمية وكفاحها المستمر ، من أجل انتزاع حقوقها المهضومة .[1]

النتائج الاقتصادية : أبرز ما فيه الخروج من النشاط الزراعي وتربية المواشي ، إلى النشاط الاقتصادي ، أو ما يسمى بالصناعات الفنية ، وإنشاء مصانع لجمع من العمال ، لإدارة نشاط صناعي قائم بذاته ، يحدث من ورائه الاكتفاء الذاتي ، والطموح في تصدير الفائض من السلع .

النتائج القانونية : وهي في الحقيقة حاصل تحصيل ، لتؤطر عملية الحقوق والواجبات والعقوبات في حالة الخروج عن القوانين المسجلة بعناية وحكمة .ليسود من خلالها الشعار : الحرية والعدل والمساواة .

ولكنها بالمقابل هذه القوة الصناعية التي خرجت إلى العلن بشكل مفاجئ ، لخلفية عمل تراكم سنوات ، ليتوسع طموحها إلى الخروج من الدائرة الأوروبية إلى الدوائر الأخرى تحت مضلات إنسانية ، لكنها سرعان ما أظهرت وجهها الاستعماري الحقيقي لإستغلال ثروات الشعوب ؛ ولم تحقق شيئا للبلدان المستهدفة : اقتصاديا وسياسيا ودينيا وحضاريا .

ولقد ترتب على هذا المشهد تباين في الوسط الثقافي ما جعل مالك بن نبي يقول الشيء الكثير في كتابه المسلم في عالم الاقتصاد :

[1]ـ المرجع السابق ، ص 44

(.. ثم إذا عدنا مرة أخرى إلى موقف مثقفينا من القضية الاقتصادية نراهم يصنفون صنفين ، لا على أساس فني ، بل على أساس أخلاقي ؛ صنف لا يبالي بعقيدته في انحيازه لنظرية اقتصادية معينة ، ويلقب نفسه بالتقدمي لأنه يدعي الماركسية ، وصنف ينحاز مبدئيا إلى الليبيرالية لأنه يتجنب المادية والإلحاد بحافز إسلامه .)[1]

وإن ظهر انحياز مالك بن نبي للصنف الثاني ، لاعتبارات أخف الأضرار ..

ليقول لنا حول رسالته : **(وهذه الدراسة بالذات هي مجرد محاولة تصفية لموضوع الاقتصاد في الأذهان من الجوانب الإضافية ، التي تطرأ عليه سواء في صورة ضرورة فنية ، تنشأ في الطريق ، أو في صورة سياسية تسلط عليه الرقابة عمليتي الإنتاج والتوزيع ، طبقا لمبادئ ومسلمات مذهبية معينة .)**[2]

وكما معروف فإن القرار السياسي هو الذي به تحتكم الأمور ، وتختزل به الأوقات ، لكن بالمقابل القرار السياسي القوي هو الذي تكون خلفيته الاقتصادية في كامل قواها حتى يكون له معنى ..

يقول مالك بن نبي : **(وعمليا يجب أن تسير النظرية الاقتصادية جنبا إلى جنب مع النظرية السياسية ، كيما تحيل المبدإ النظري إلى قانون للعمل والنشاط ، فتنظمه بذلك إلى دوافعه ونسقه وأسلوبه . والطريقة الوحيدة التي يصبح بها المبدأ أو الفكرة جزءا من التاريخ هي أن يتحول إلى عمل ، إلى دافع عمل ، إلى طاقة عملية ، إلى إمكانية عمل .)**[3]

---

[1]ـ مالك بن نبي : المسلم في عالم الاقتصاد ،بإشراف ندوة مالك بن نبي ، دمشق ، دار الفكر ، ط3 ، 1987،إعادة الطبع 2000، ص 9

[2]ـ المرجع نفسه : ص 11.

[3]ـ المرجع نفسه : ص 19.

وهذا الكلام الذي يتحفنا به مالك ، لترسيخ قيم العمل حتى يجنبنا تراكيب نفسية تمسكت بها الشغوب المستعمرة _ الذي وقع عليها الاستعمار _ من خلال ما فعله فيها المستعمر ، قائلا :

(فلقد نمى الاستعمار في نفسية المستعمر ، خوف الجوع الذي يظهر في جميع طبقات المجتمع المستعمر ، خلق منه الرجل الجائع دائما ، خلق منه الرجل الذي يخاف دائما من الجوع ، وهاتان الصورتان من صور الخوف ، قد حطمتا عند الكائن المستعمر كل إمكانية للتكيف مع التكوينات والأوضاع الاقتصادية في القرن العشرين .)[1]

وفي فصل حدود الاختيار الإسلامي بين المناهج الموجودة على أرض الساحة العالمية يقول مالك بن نبي :

(إذا تأملنا الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة المشكلات الاقتصادية ، نرى أنه يضيق على نفسه مجال اجتهاده ، بمقتضى مسلمات ضمنية حصرها تقريبا فيما يلي :1ـ إنه يفكر أولا على أساس أن الموجود من المناهج الاقتصادية هو ما يمكن إيجاده . 2ـ إن النشاط الاقتصادي لا يمكن من دون تدخل المال ، سواء في صورة استثمار ، تنظمه وتشرف عليه قطاعات خاصة ، أو استثمار تهيمن عليه سلطة سياسية ، فيما يسمى القطاع العام .)[2]

وهنا يبدوا كالذي يفترض أن يخيط لنفسه بدلة على مقاسه وذوقه من البداية ، منسجمة مع عاداته وتقاليد بلدته ، ولا مانع أن يستفيد من تجارب الآخرين في عالم الموضة تبسيطا وتعقيدا ..

---

[1]ـ المرجع نفسه : ص20.

[2]ـ المرجع نفسه : ص 42.

يقول مالك بن نبي :

(فاليوم يجب سواء على الفقهاء أو على أصحاب الاختصاص تقدير مسؤولياتهم على أساس أن القضية المطروحة ليست قضية تحقيق استمرار الحياة الاقتصادية ، بل هي قضية دفع العجلة من أجل إنقاذ السفينة وأهلها ، ولو تعطلت من أجل ذلك بعض المصالح الفردية .)[1]

وهذا الدفع من أجل إنقاذ الأرواح والأنفس ينبهنا إلى عمق الأشياء ، متجنبين إلى الرؤى الضيقة التي تراهن فقط على الجانب الشكلي ، وحتى وإن ساده شيئا من الدعاية والبهرج ، يقول بن نبي :

(أن الاقتصاد ليس إنشاء بنك ، وتشييد مصانع فحسب ، بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات .)[2]

وفي إطار رسم شروط الديناميكا الاقتصادية يضع لها مالك في شكل صورة مسلمتين :

1ـ لقمة العيش حق لكل فم .

2 ـ العمل واجب على كل ساعد .

(فالمسلمة الأولى يفترضها الاختيار لمبدأ معين يلتزمه المجتمع ، ويسجله في دستوره بوصفه أساسا لعقده الاجتماعي.

أما المسلمة الثانية فليست اختيارا بل هي ضرورة تفرضها المسلمة الأولى ، شرطا لاستمرار التفاعل بين الانتاج والاستهلاك .)[1]

---

[1]ـ المرجع نفسه : ص 46

[2]ـ المرجع نفسه : ص 59.

وفي كتابه عالم الاقتصاد يخرج مالك بن نبي بمجموعة من القوانين والقواعد أهمها:

واجب + حق = 0

إنتاج + استهلاك = 0

وهي دعوة صريحة لتغليب كفتي الواجب والإنتاج على كفتي الحق والاستهلاك ، لنستدرك النقائص أولا ، ومنافسة الدول المتقدمة ثانيا ، والمحافظة على الريادة إن تحققت ثالثا.واحترام السنن الكونية أولا وأخيرا...

[1]ـ المرجع نفسه: ص 80.

المبحث الرابع:

الجانب الصناعي لنظرية الثقافة لمالك بن نبي .

يقول الفيلسوف كانط في كتابه تأسيس ميتافيزيقاالأخلاق :

(لقد كسبت الحرف ، والصناعات اليدوية ، والفنون عن طريق تقسيم العمل ، فلم يعد واحد بمفرده يقوم بعمل كل شيء ، بل اختص كل بعمل معين يختلف في طريقه أدلته عن غيره من الأفعال اختلافا ملحوظا ، وذلك لكي يتسنى له أن يصل به إلى أعظم حظ من الكمال وأن يتمه في سهولة ويسر ، وحينما يدعي كل إنسان أنه رب ألف صنعة وصنعة ، هناك تكون الصنائع على حال من الفوضى لا مزيد عليها.)[1]

ولهذا فعالم الصنائع بما فيها العمل الشعبي التقليدي له رجالاته وله كنهته ، والجميع يتنافس بأن يتميز عن الآخر بمهارة، أو كما يقال بسر المهنة لدرجة أن القاعدة التي تقول: بأن كل شخص تلتقي به فهو أفضل منك في زاوية من زوايا اختصاصه ، وبدورك فأنت لك ما تتميز به عن الآخر..

فإجمالا : **ضعفك لا تعني قوة الآخرين ، وقوة الآخرين لا تعني ضعفك ..**

وطموحك وتميزك وإبداعك من أجل تحقيق الذات، قوته ومدده من الداخل ، ولا يمكن لكل القوى أن تنال منه شيئا ، إلا إذا أدخلت نفسك في مقارنات سلبية والجميع يعلم حقيقة نفسه من داخلها.

[1]– كانت : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، تر : عبد الغفار مكاوي ، القاهرة ، المكتبة العربية ، ط..، 1965، ، ص7

وقد كان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه إذا أمتدح قال :

(اللهم أنت أعلم مني بنفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم ، اللهم اجعلني خيرا مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون .)

و القول الإفريقي المأثور يقول : إذا كنت تتصور أنك من الضآلة بحيث لا تحدث فرقا ، فحاول أن تخلد إلى النوم وفي غرفتك بعوضة.

ولا مانع أن أضع النص الأصلي مرة أخرى لمالك بن نبي في هذا المبحث.

يقول مالك بن نبي عن فصله الرابع في نظريته للثقافة ، والذي سماه بالجانب الصناعي الفني :

لا نعني بالصناعة ذلك المعنى الضيق المقصود من هذا اللفظ بصفة عامة في البلاد الإسلامية ، فإن كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيق العلوم تدخل في مفهوم الصناعة .والراعي نفسه له صناعة...

ومن المسلم أن الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده ، ولكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه ؛ وعليه فيجب أن نلاحظ في كل من هذين الاعتبارين .

وقد دعا مالك إلى : **ضرورة إنشاء مجلس للتوجيه الفني ليحل نظريا وعمليا المشكلة الخطيرة للتربية المهنية تبعا لحاجات البلاد.**[1]

ويقول مالك بن نبي عن الجانب الصناعي :

[1] ـ مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، مرجع سابق ، ص88

ويأتي دور العامل الصناعي عندما يضع بلد ما تخطيطا لمشروع قومي ، وبذا يتم إدخاله في برنامج تربوي بصورة آلية نوعا ما ، إذ هي ضرورة تفرض نفسها على المشروعات الحكومية من جهة ، وعلى المحاولات الخاصة من جهة أخرى ، وهكذا يتلاقى احتياج دولة إلى الفنيين ورغبة الأفراد في أن يؤدوا وظائف معينة في مجال الفن الصناعي ، يتلاقيان كاملا في الضرورة العضوية نفسها)[1]

وإذا كان مالك من دعاة إنشاء مجلس للتوجيه الفني ، حتى يحقق الاحتياجات الحقيقية للبلاد ، فنحن نعلم بأن نعمة البترول على سبيل المثال أضحت نقمة ، كونها قتلت كل مجالات الإبداع ، وأخرجت أجيالا تمتهن البطالة من أوسع أبوابها ، وذهنية قاصرة على تسيير قارة بحجم الجزائر ؛ لإعتماد الطبقة السياسية في تسيير شؤون الدولة بما يعود من مداخيل البترول والغاز ، والدليل أن حجم الاستيراد نسبته المئوية مرتفعة ويمس كل حاجات الوطن والمواطن ، وأن المادة الوحيدة التي نحقق بها شيئا اسمه الأمن الغذائي والإقتصاد القومي وما يتبعه من سيادة وعزة وكرامة ، يعود الفضل كل الفضل لهذا النوع من الثروات ..

فإذا كانت دعوة مالك في إنشاء مجلس للتوجيه الفني ، الذي يحقق التوازن في المهن والنشاطات ، ويفتح باب المنافسة والإبداع لخدمة البلد وأهلها من خلال التنوع والثراء والجودة وتغطية كل الاحتياجات ، فإنه حان الوقت أن نخرج من عقدة المدخول الوحيد ، انسجاما مع الاحتياجات الجديدة والمتطلبات المستجدة ، ومراعات للأحداث العالمية التي لا ترحم ..فالويل كل الويل كما يقولون ، للأمم التي تاكل مما لا تزرع ، وتلبس مما لا تنسج ، وتشرب مما لا تعتصر ، وأكثر من هذا تحمي بلدها

[1] ـ المرجع نفسه110 ص، 111

بسلاح غيرها ، في أغلبيته فاقدا للصلاحية والفاعلية ..وبتكنولوجية يعلمه صاحب الصنعة .

واستفاضة لما دعا له مالك بن نبي ، حول فكرة التوجيه الفني الصناعي ،

فللشيخ محمد الغزالي عندما نقرأ بعض كتبه وقفة جليلة ، إذا أحسنا الفهم ، حيث أشار إلى مسألة تحويل فرض كفاية إلى فرض عين ، عندما تكلم عن ضرورة الاهتمام بالعلوم الدنيوية ، والتطلع إلى الاختصاصات الأخرى ..من العلوم التطبيقية والطبية والعلوم الرياضية ، والعلوم الإنسانية والاجتماعية ..

ولا يكون همنا هو التنافس في العلوم الشرعية ، التي لا تستطيع لوحدها مجابهة كل تعقيدات هذه الحياة ؛ ليقتنع في الأخير كل فرد بذاته الجميلة والمبدعة اختصاصا ونشاطا ، يحقق بها سر وجوده عبادة وتعميرا ، معنى يليق بحقها وحرمتها وجلال قدرها .

وبما أننا تناولنا هذا الجانب من نظرية مالك بن نبي ، وأدرجناه ضمن الفلسفة اليومي على مسؤوليتنا ، لما رأيناه من تقاطعات معه ، ولمنطقية دعواه تنظيرا ورؤية وأمثلة ، فحق لنا أن نتكلم عن تحرر الإنسان المعاصر ، من كل أوصياء الفكر الإستعلاءاتي والنخبوي ، والنزول لأرض الواقع بإشراك الجميع في بناء الوطن ، فالوطن لمن يخدمه ويحقق له احتياجاته من خلال تكافل الجميع ، كل في موقعه واختصاصه وجهده ، ما يجعل الفلسفة اليومي رافدا مهما في هذه العملية النبيلة والحضارية بكل ما تحمله الكلمة من معنى ..

يقول الكاتب عمر أزراج:

عن الفلسفة اليومي وتحرر الإنسان المعاصر :

على مدى سنوات ليست بالقليلة والساحة الفكرية الأوروبية الغربية ، تشهد مراجعة جذرية لماهية الفلسفة ودورها ووظيفتها في الحياة ، وفي ترقية الفهم البشري ، ولكيفية تدريسها ، حيث تم وضع التقليد الفلسفي النسقي التقليدي ، تحت مطرقة النقد من أجل إنزالها من برجها العاجي ، وإبعادها من تلك الطقوس التي تنطوي فيها على نفسها ، وتحصر مهمتها في مجرد طرح أسئلة الوجود الكبرى ، أو النظر في الكليات ، أو مساءلة العلم ، وتوفير الأسئلة المنطقية له ، أو نحت وتوليد

المفاهيم كما ذهب إلى ذلك الفرنسيان جيل دولوز وزميله غتاري في كتابهما

ما الفلسفة ؟[1]

ويقول أزراج:

ولقد ساهم هذا التغير ولا يزال يساهم في جعل الفلسفة تتدخل بقوة في الحياة اليومية للإنسان المعاصر، لا لتفسير تعقيداتها وإدراك مشكلاتها فقط ، وإنما من أجل تحرير هذا الإنسان نفسه أيضا من وعيه المزيف ، ومن ثقافة التشيؤ والاغتراب ومختلف أشكال استعمار الذوات .

ينبغي التوضيح بأن تشكل فكر لوفيفر فلسفي منذ البداية ، وإلى جانب ذلك فهو قد تمكن من المشاركة منذ العقود الثلاثة الأولى للقرن الماضي في تدشين ما يسمى بالهجنة النظرية المركبة ، التي تتظافر فيها روافد معرفية أخرى ، مثل فلسفة هيجل والماركسية وعلم الاجتماع والأدب والموسيقى وجماليات الفضاء ، والتحليل النفسي ، والثقافة اليومية .حيث أنه بهذا يعتبر أحد المؤسسين ولو بشكل غير مباشر

[1]ـ أزراج عمر : فلسفة اليومي وتحرر الإنسان المعاصر ، صحيفة العرب بتاريخ ، 13ديسمبر2019

، للتخصص المزدوج المعروف الآن بالنقد الثقافي والدراسات الثقافية في طبعته الغربية .[1]

ولقد كتب زكي الميلاد في كتابه الذي كان الانطلاقة الأولى في رسالتنا أنه عندما وصل إلى الفصل الرابع والأخير للنظرية الثقافية لمالك ، قائلا:

(وبقطع جازم يعتقد ابن نبي أن هذه العناصر الأربعة ، هي التي بإمكانها أن تساهم في تحديد الثقافة وتركيبها وتحويلها إلى أسلوب حياة في المجتمعات ولسنا بحاجة حسب رأيه إلى عنصر آخر وأي إضافة ستكون من فضول الحديث الذي لا حاجة إليه .)[2]

وإذا كان من التعريفات التي اشتهرت بها الثقافة ، هي بدايتها بعبارة : ذلك الكل المركب ، باعتبار أن مفهوم الثقافة واسع ، ومن الصعوبة أن يحدد ، فيكون الاستئناس بها للدلالة على وسعة وفسحة نطاقها الدلالي ، فالأمر كذالك عند مالك عندما رصد لنظريته الثقافية ، أربعة فصول من خلال ذلك الكل المركب من : التوجيه الأخلاقي ، والمبدأ الجمالي ، والمنطق العملي ، والجانب الصناعي الفني والعلمي ، والذي جعلنا معه الفلسفة اليومي كتعبير عما هو بين السطور كرافد أحكمنا به النظرية ، وحتى نطمئن على هذه النظرية في إمكانية تجسيدها على أرض الميدان تنظيرا وممارسة ، فإننا سنشحن بطاريتها بقضية الفاعلية المنحوتة الخطيرة للسيد مالك بن نبي .

(وقضية الفاعلية عند مالك بن نبي تندرج ضمن منظومة الفكرية العامة، التي حددها في مشكلة الحضارة ، بأبعادها الشاملة ، السياسية والثقافية والاجتماعية

[1] ـ المرجع نفسه .
[2] ـ زكي الميلاد : المسألة الثقافية ، ص 61،62

والاقتصادية والأخلاقية ؛ فمشكلة الحضارة عنده قضية لا تتجزأ ، وأي تجزء لها يقود حتما إلى طرح المشكلات طرحا مخطئا ، ومن ثم يؤدي إلى تحديد وسائل مخطئة للعلاج .)[1]

(ولهذا يعتبر مالك بن نبي أن العالم الإسلامي أضاع وقتا طويلا ، وجهدا كبيرا بسبب عدم التحديد المنهجي الصحيح للمرض الذي يتألم منه منذ قرون عدة ، وذلك عائد إلى التجزيئية ، التي عزلت القضايا عن بعضها ، ونظرت إلى كل واحدة على حدة .)[2]

ويتحفنا مالك بن نبي عن قدسية الكلمة الفعالة قائلا :

حقا .. إن الكلمة لمن روح القدس.. ولكن من الضروري أن يقر في أذهاننا التمييز بين الكلمة المقدسة الفعالة ، وبين الثرثرة والهذر .. فهناك أناس ليس الكلمة بالنسبة إليهم سوى أداة تؤدي العدم ، فهي عندهم مجرد صورة بيانية خلابة ترف في الهواء ، أو مجرد كمية من المداد على صفحة من الورق .[3]

لكن الواجب يفرض علينا أن نرعى واقعا جليا وجوهريا ، هو أن ميزانية التاريخ ليست رصيدا من الكلام ، بل هي كتلا من النشاط المادي ، ومن الأفكار التي لها كثافة الواقع ووزنه ، وهذه الميزانية المكونة من صنوف النشاط الإيجابي هي في الحقيقة ميزانيات من القيم الثقافية ،

[1] ـ وصفي عاشور أبو زيد فكرة الفاعلية، مرجع سابق .
[2] ـ المرجع نفسه .
[3] ـ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ، مرجع سابق، ض111

تقوم على فصول الثقافة الأربعة :

منهجها الأخلاقي.

وفلسفتها الجمالية .

وفنها الصناعي .

ومنطقها العملي .)[1]

[1] ـ المرجع نفسه ، ص نفسه 111، 112

خاتمة

خاتمة :

من خلال ما تم تسجيله في هذه المذكرة الموسومة ب : **البعد الفلسفي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي** . فقد عرفنا بأن المنظومة الثقافية لمالك بن نبي تتشكل من أربعة فصول ؛ ربيعا وصيفا وشتاء وخريفا .. على وزن ؛ أخلاقا وجمالا وعملا وصناعة .. ونقطة مركزيتها الفكرة الدينية الصائبة والحية والفاعلة . وفصول نظريته كالتالي :

1= التوجه الأخلاقي :والهدف منه ربط الصلات الاجتماعية ، لمجتمع متماسك ومترابط ينشد الخير ، ويرفض كل سبل الشر صغيره قبل كبيره . متمسكا وداعيا لنشر الفضيلة والسلوك الطيب والحميد على أرض الواقع بمنهج تربوي رشيد وفعال ، دون أن يحمل الهم الحضاري على مستوى الوهم والخيال .

2= المبدأ الجمالي : والهدف منه تكوين الذوق السليم ، وقبله وهو العنصر الغائب عندنا نحن جموع العرب والمسلمين ، ثقافة الجمال في أبسط أبجدياتها ، وما أجمل أن ندعو إلى مبدإ البساطة فهي الطريق الأسلم لإشعاعها . حتى تبدو النظرة الجمالية على الجميع دون إظهار للفروق الفردية ، التي إن وجدت فوجودها لحكمة ، لكن النظرة الجميلة تكسوا بظلالها الجميع إذا تم ربطها باستحضار المشهد الثقافي وهو غايتنا في هذه الرسالة

3= المنطق العملي : والهدف منه أن نتأكد قناعة بأنه لا ينقصنا التنظير والتحليل _ وإن كانت بضاعتنا الفكرية فيها تمايز بين من أعطاها كل اهتماماته ، ومن جعلها في أذيل اهتماماته ، حتى وإن لقب بالمثقف أو نال حظا من درجة الأستاذية _ وإنما

خاتمة:

الذي ينقصنا هو العمل وإتقانه بشيء من الإبداع والفاعلية ، واستحضار رحمة القلوب فالمكان يسع الجميع ، والمكانة لمن قدم لها الغالي والنفيس ، بتأدب كامل

مع الله مانح التمييز والتفاضل والتشريف ، فاللهم رعايتك وسترك وتوفيقك وقبول أعمالنا وفيض رحماتك .

4= الجانب الصناعي والفن التطبيقي { واليومي } :

وهو اكتشاف بالنسبة لنا من خلال ربطه بما هو أعمق وأقرب من الفلسفة اليومي والهدف منه :

_أ احترام كل الفئات الصانعة كل في مجال تخصصه ، والإشادة بكيانهم ووجودهم وبأهميتهم فمن دونهم تتعطل سبل الحياة الكريمة على كل المستويات ..وإن كان هنا مثال تقتضيه الضرورة والأولوية ، فعمال النظافة الذين نكرمهم في العالم الأزرق الافتراضي بمهندسي النظافة ، وسادة حماية البيئة تسمية وتشريفا واعترافا بدورهم السامي والحضاري ، وعلى أرض الواقع هم في أذيل المراتب المادية ، وبألقابهم المتقاطعة مع لقبي القديم – زبلي – بتسميتهم السوقية منظفي الزبالة ، ومن دونهم لن يستطيع الطالب الدخول إلى الجامعة ، لأنه لن يجد مكانا نظيفا

يقض فيه حاجاته البيولوجية ، ولقد آلمني صورة دورات المياه عندنا وكأننا في غابة وحوش لا علاقة لها بعالم الإنسانية ولا عالم المدنية ولا الحضارة ولا حتى ما يدعو

له ديننا طهارة في أبسط أبجدياتها، وكم مرة تمنيت لو يحدث شيئا من الطوارئ حتى يشاركوننا أساتذتنا وإداريوننا ومسؤولينا هذا المكان الجميل ، فما عساهم القول ؟ ، دون الحديث عن إهمال ركن الصلاة ، وإن كنا جميعا له مهملين فعلى الأقل يكون فيما بيننا تنافس في مظهريتها وشكلها ...

خاتمة:

والعبرة هنا أهمية الصنعة التي تستر حالنا ومن دونهم تفتضح عوراتنا.. وكان على الطالب المتعلم بدرجة عامة والطالب المثقف بدرجة خاصة ، أن يكون القدوة لغيره في احترام نفسه باحترام محيطه ، جاعلا من كل مكان ركنا من أركان بيته ..

وقد ذكرنا فيما سبق قولا فاصلا لمالك بن نبي حول النظرة الجمالية :

(الجمال هو وجه الوطن في العالم ، فلنحفظ وجهنا لكي نحفظ كرامتنا .)

-ب إدراج الفلسفة من خلال يومياتنا بكل تفاصيلها ، بما فيها الفترات التي تضعف أنفسنا وما أكثرها ، أو التي يتغير فيها مزاجنا ، وكل ما يعبر عنها حقيقة ، والحقيقة موجودة في ذواتنا ومن الداخل لا تخفى على عاقل .

ونزول ما استعلى في حقها_ في حق الفلسفة _ من خلال منظريها التقليديين، لنفتح أعيننا على كل الطبقات الشعبية ، والاقتراب من اهتماماتهم والاستفادة من خبراتهم

وخيراتهم ، ممتنين لعطاءاتهم وإبداعاتهم للتحلي بالسلوك اليومي الهادف والمثمر الذي حقيقة يحمل شيئا من الأبعاد الفلسفية والفكر والعلم والثقافة .

ـ ج ـ لا سياسة ولا دين ولا ممارسات اجتماعية وتعليمية وتربوية وتثقيفية بدون الاهتمام بالنشاط الاقتصادي ، الذي به تحقق كل أحلام الشعوب .

هذا على مستوى النظرية الثقافية لمالك بن نبي ..

أما على مستوى تقاطعها مع البعد الفلسفي ، فكما هو ملاحظ فقد استدعيت ترسانة من المقاييس من فلسفة الأخلاق وفلسفة الجمال وفلسفة العمل وفلسفة الصناعة ، وفلسفة اليومي ..

المتقاطعة مع نظرية الثقافة لمالك بن نبي والتي فرضت علينا من

خاتمة:

خلال مشهدها الثقافي أن نستدعي أقساما أخرى للفلسفة : من فلسفة الدين

والحجاج وشيئا من المنطق وفلسفة التاريخ ، وفلسفة السياسة ، وفلسفة التربية ، وفلسفة العلوم .. وكانت لنا الشجاعة في اقتحام ملعب النقد فيما وجدناه أو فيما أشرنا له ، حتى نخرج من التقديس ونتعلم ثقافة أن نقول ما نشعر به ولو من باب حق التعبير ، فقد يترتب على ذلك سطرا أو كلمة قد ترفع إلى سماء القبول، لتنزل على أرضنا بركة ونورا ومددا تتواصل الأجيال في ترسيخه، والبناء الرشيد في أفق الحياة بكل تجاذباتها ..وهدفنا هنا إجمالا : هو التأكيد على اندماج المشهد الفلسفي بالمشهد الثقافي ، وأن الجميع ينشد الثقافة كواجهة وكخلفية والأهم كإطار فكري يستمد منها الجميع التنظير والفاعلية .

وفي الأخير إذا أعطي لي حق الاختيار فيما سجلت ، فإن الذي علق فيما تم التوصل له وتسطيره على أرض هذه المذكرة المباركة ؛

كلمة مالك بن نبي التي رسخت وأحدثت مايشبه الزلزال في كل ما قرأته في مسيرتي قوله :**(فالفكرة الصادقة ليست دائما فعالة ، والفكرة الفعالة ليست دائما صادقة ؛ الفكرة هي صحيحة أو باطلة ، ولكن هذه الفكرة رغم صحتها قد تفقد فاعليتها ، وقد تظل فترة طويلة كامنة في عالم اللافاعلية رغم وجودها ، حتى يأتي زمان تخرج إلى الفاعلية..)**

ومن الأقوال التي نكررها كثيرا في حق أبي حامد الغزالي شهادته : طلبنا العلم لغير الله ، فأبى العلم أن يكون إلا لله . فكذالك نحن بدأنا رسالتنا هذه وعيننا على إتمامها من أجل الحصول على الشهادة ، فأبت الشهادة أن تكون إلا أن نعطي للعلم حرمته ، وأن يكون فكر مالك بن نبي واحدا من أولوياتنا واهتماماتنا .

خاتمة:

ومن الحكم الجميلة لجلال الدين الرومي :

الحياة هي كما لو أن ملكا أرسل شخصا إلى بلاد لكي ينجز مهمة .. يذهب الشخص وينجز مئات الأشياء ، ولكن إذا لم ينجز ما طلب منه ، فكأنما لم يفعل شيئا.

وعلى افتراض أننا أنجزنا المهمة ، فالحقيقة والحق يقال ، أننا لم نلامس عمق النظرية الثقافية لمالك بن نبي ، فكل ما فعلناه حاولنا ملامستها على مستوى السطح ، وهذا الاحتكاك البسيط ببركتها ، فتح لنا آفاقا في المشهد البنبي والمشهد الفلسفي والمشهد الثقافي والمشهد الفكري.. والمشهد العلمي الذي ندعي بأننا نحبه ونحترمه ، وسرعان ما نعود إلى غفلتنا وحماقتنا في تبديد الأوقات بعالم التفاهة وعالم التمظهر وعالم البطولات الوهمية على الأراضي الافتراضية ، التي تنخر من صحتنا ومن جسمنا ومن خلايانا ومن طاقتنا وإبداعاتنا ..

وأهم سؤال يطرح في الختام ، إلى أين وصلت النظرية الثقافية لمالك بن نبي ؟

ومن خلال الحوار الذي أجري مع الباحثة سمية غربي بالسؤال التالي : إلى أين وصلت نظرية الثقافة عند مالك بن نبي ؟ تجيبنا بالقول : ومع ذلك بقيت هذه النظرية بعد غياب ابن نبي على حالها ، ولم تشهد تطورا وتقدما وتراكما وتجددا

مهما ؛ لا من الناحية المعرفية و المنهجية ، ولا من الناحية التحليلية والنقدية ،وانتهت إلى وضع جامد وما زالت على هذا الحال من دون تحريك أو تجديد ،

والذي كرس هذا الوضع الجامد طريقة التعاطي الذي لم يكن فعالا من الناحية

النقدية ، أو معرفيا من الناحية التحليلية .

خاتمة:

سائلين الله السداد والصلاح والتوفيق ..

وشعارنا : إذا بذل المجهود ، فأرض بالموجود ، وإن لم يحقق المقصود.

المصادر والمراجع

المصادر :

1- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، تر : عبدالصبور شاهين ، دمشق ، دار الفكر ، ط4، 1984، إعادة 2000.

2 ـ مالك بن نبي : شروط النهضة ، تر : عبدالصبور شاهين ، دمشق ، دار الفكر ، ط بد ، 1986

3ـ مالك بن نبي : ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية ، تر : عبد الصبور شاهين ، دمشق ، دار الفكر ، ط2 ، 1986

4ـ مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ، دمشق ، دار الفكر ، ط1 ، 1978، أعادة 2002

5ـ مالك بن نبي : العفن : مذكرات ، تر: نورالدين خندودي ، الجزائر ، دار الأمة ، ط1، 2007

6 ـ مالك بن نبي : المسلم في عالم الاقتصاد ،بإشراف ندوة مالك بن نبي ، دمشق ، دار الفكر ، ط3 ، 1987،إعادة الطبع 2000 .

المراجع:

7 ـ أبو حامد الغزالي ، أيها الولد ، الجزائر ، بيت الحكمة ، ط 1، 2013.

8ـ أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين . بيؤوت ، دار بن حزم ، ط1 ، 2005

9ـ أحمد بن نعمان : هذه هي الثقافة ، الجزائر ، دار الأمة ، ط بد ، 1996-

10ـ أحلام مستغانمي ، ذاكلاة الجسد ، بيروت ، دار الآداب ، ط15، 2000.

11ـ بشير ضيف الله : فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ،الجزائر ، داربن مرابط ، ط بد ، 2014

12- جيل دولوز : فلسفة كاط النقدية ، تر : أسامة الحاج ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات ط 1، 1997

13ـ حنا الفاخوري و خليل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ، الجزء الاول ، مقدمات عامة ، الفلسفة الإسلامية ، بيروت ، دار الجيل ، ط3، 1993..

14ـ زكي الميلاد : المسألة الثقافية ، (من أجل بناء النظرية الثقاغية)، الجزائر ، الدار الشاطبية ، ط3 ، 2012.

15ـ شوبنهاور : فن أن تكون دائما على صواب أو الجدل المرائي ، تر : رضوان العصبة ، الجزائر ، ط 1 ، 2014.

16- طه عبالرحمان : سؤال العمل (بحث عن الأصول في الفكر والعلم) ، المغرب ، المركز الثقافي ، ط1 ، 2012

17-عكاشة شايف : الصراع الحضاري في العالم الإسلامي : مالك بن نبي ، الجزائر ، دار بن مرابط ، ط بد ، 2010

18ـ علي بن الحسن (ابن عساكر الدمشقي) . تاريخ مدينة دمشق الجزء 25 صفحة 412

19ـ علي حرب : الحب والفناء تأملات في المرأة والعشق والوجود ، بيروت ، دار المناهل ، ط1، 1990

20- عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الإسلامية ، بيروت ، دار الرسالة ، ط3 ، دارالدعوة ، ط1 ، 1997

21ـ فريدريك لونوار : قوة الفرح ، تر : أيمن عبد الهادي ، بيروت ، دار التنوير ، ط 1 ، 2017

22ـ كارل ياسبرس : عظمة الفلسفة ، تر ، عادل العوا ، باريس ، منشورات عويدات ، ط4 ، 1988.

23ـ كانت : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، تر : عبد الغفار مكاوي ، القاهرة ، المكتبة العربية ، ط..، 1965،

24- محمد البنعيادي : مالك بن نبي ، في ذاكرة عبدالسلام الهراس ، الجزائر ، الشاطبية،، ط2012،2

25ـ محمد العبدة : (مالك بن نبي ، مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي) ، دمشق . دار القلم ، ط1، 2006،

26- محمد الغزالي : الجانب العافي في الإسلام ، القاهرة ، شركة مصر ، ط2 ، 2005،

27ـ محمد بن عبدالكريم الجزائري ، الثقافة ومآسي رجالها .

28- محمد عبد العظيم علي : تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، القاهرة ،

29ـ مصطفى محمود : الحب في زمن العواطف المستعارة ،

30- محمد يوسف موسى : مباحث في فلسفة الأخلاق ، المملكة المتحدة ، هنداوي ، ط بد ، 2017

31- هديل بسام زكارنة : المدخل في علم الجمال ، عمان ، المكتبة الوطنية ، ط= ، 1993 ،

32 ـ هيز ، كارلتون : الثورة الصناعية ، تر : أحمد عبد الباقي ،بغداد ، مطبعة العالي ، ط1، 1950

33- هنري أرفون : فلسفة العمل ، تر : عادل العوا ، باريس ، منشورات عويدات ، ط2 ، 1989،

34ـ نهلة الجمزاوي : فلسفة الأخلاق (مفهومها ، تاريخها ، تطولاها) ، الأردن ، وزارة الثقافة ، ط ، 2021.

المجلات :

35ـ أولاجي واسيني : هيجل وسؤال الفن والجمال ، مجلة أبعاد ، الجزائر ، مجلد 8 ، العدد 2 ، 2021 ،

36ـ بدر الدحاني : في فلسفة الفن والجمال ، مجلة الرافد الإلكترونية ، دائرة الشارفة ، الإمارات العربية المتحدة ،

37- رولان أومنيس : فلسفة الكوانتم ، تر : أحمد فؤاد باشا ، طريف الخولي ، مجلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد 350،أفريل 2008.

38ـ علي أسعد وطفة : في مفهوم الأخلاق (قراءة فلسفية معاصرة) ، مجلة ، شؤون اجتماعية ، العدد 119، السنة 30، خريف 2013

39ـ عمرو عيلان و ساية بن طلحة : مقال : نظرية فريدريك هيجل وآراؤه في علم الجمال ، مجلة العلوم الإنسانية ، الجزائر ، المجلد 4 العدد 2 أذار 2020.

40ـ عدي نعمان ثابت ، إشكالية الشر عند الملاحدة المعاصرين ، وأثرها في نفي وجود الإله ، مجلة العلوم الإسلامية ، الجامعة العراقية ، العدد 31، أوت2022.

41- فايد لطيفة و شارف عباس : مقال : فكرة الجمال في تصورات مالك بن نبي ، مجلة مقاربات فلسفية ، المجلد 8 ، العدد1.

42. مصطفى محمود ، السؤال الحائر ، القاهرة ، دار المعارف ، ط الرابعة ،

43- مصطفى السيد ومعه آخرون : مرتكزات التأصيل الفلسفي للقيم الأخلاقية في الطرح الإنسانوي الغربي المعاصر ، القاهرة ، مجلة التربية (الأزهر) العدد 194، الجزء4، أبريل 2022،

44. محمد الفرحان ، حضور الفلسفة الغربية في الفكر العربي المعاصر – مالك بن نبي أنموذجا - مجلة أوراق فلسفية ، المجلد الثاني ، العدد الثالث ، صيف 2011.

45. مجموعة من الكتاب : نظرية الثقافة ، تر : علي سيد الصاوي ، الكويت ، عالم المعرفة ، العدد 223، التاريخ يوليو 1997

46 ــ محفوظ سماتي : النخبة في فكر مالك بن نبي ، مجلة رؤى(مالك بن نبي والمشروع الحضاري) ، السنة الرابعة ، العدد 20، السنة 2003،

47. مقدمة العدد ، مجلة منتدى التوحيد ، العدد الخامس 5 ، مجلة شهرية تاريخ 29أفريل 2008

48. نبيل علي :الثقافة العربية وعصر المعلومات ، الكويت ، عالم المعرفة ، العدد 265، يناير 2001

49- وصفي عاشور أبو زيد : فكرة الفاعلية عند مالك بن نبي ، مجلة رؤى ، السنة الرابعة ، العدد20، السنة 2003،

50- وحدي نبيلة : مقال : العمل والقيم وإشكالية الإلتزام ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية ، قسم الآداب والفلسفة ، العدد12 ، جوان 2014.

المواقع:

51. شوبنهاور ، فن العيش الكريم ، تأملات في الحياة والناس ، اقتباسات الكتب ، مكتبة النور https://www.noor-book.com/

52- عبدالحميد بن سالم ، مالك بن نبي و حديث الثقافة والجمال ، موقع عربي بوست : تاريخ النشر 2،7،2022، تاريخ الزيارة 6،6،2024 .

53- كريسبن سارتويل ، فلسفة الجمال ، تر : مروان محمود ، موقع ، حكمة ، من أجل اجتهاد ثقافي وفلسفي ، تاريخ المقال ، 2،10، 2019.

54- مايكل تشولبي : مقاربات فلسفة في العمل ، تر : أحمد قاضي ، موقع ، حكمة ، من أجل اجتهاد ثقافي فلسفي ، المقال بتاريخ 31، 7 ، 2022

55ـ محمد العودات ، رباعية مالك في النهوض ، الرابط ، ، تاريخ الزيارة 6،6،2024 https://mugtama.com/13/289841/

56- مشير باسل عون : هل الأخلاق مسألة ثقافية ذاتية ، موقع (أند بن ونت ..عربية) تاريخ المقال ، 21 يوليو 2021. ، الزيارة بتاريخ ، 6،6،2024

57ـ مصطفى عشوي ، : الثقافة والقيم الأخلاقية ، جامعة الملك فهد ، السعودية. https://faculty.kfupm.edu.sa/MGM/mustafai/Temp/Ethics.htm11،06،2024 الرابط

58- معاذ درادكة ، : المنطق العملي كفكرة جوهرية في فكر مالك بن نبي .، موقع إسلام أون لا ين : /https://islamonline.net

مطبوعات ومحاضرات ومذكرات تخرج :

59ـ بن حجبة عبدالحليم عبدالحليم ،الجمالية الكانطية كتأسيس حقيق للأستيطيقا: ،جامعة وهران.

60ـ زياد كمال مصطفى ، في فلسفة الجمال ، محاضرات ، السنة الثانية ، قسم الفلسفة ، العراق ، جامعة الموصل

61ـ شريف الدين بن دوبة ، مدخل إلى الفلسفة ،مطبوعة ، سنة أولى ، جذع مشترك علوم احتماعية ، جامعة الطاهر مولاي ، سعيدة ، العام الدراسي ، 2018.

62 ـ علي ربروب ، عبدالله سبقاق ، الثورة الصناعية وآثارها على الحركة الاستعمارية الأوروبية حتى مؤتمر برلين، مذكرة ماستر ، جامعة غرداية ، 2018

63- مجموعة من الأساتذة: مطبوعة الفرد والثقافة ، منصة التعليم ، جامعة 8ماي 1945، قالمة ، سنة أولى ، قسم علم اجتماع ،السداسي الاول 2014، 2015.

<u>جرائد و صفحات التواصل :</u>

64. أزراج عمر : مقال : الجماليات والحضارة ، جريدة العرب بتاريخ 27،12،2015.

65ـ أزراج عمر : فلسفة اليومي وتحرر الإنسان المعاصر ، صحيفة العرب بتاريخ ، 13ديسمبر 2019

66- بروين حبيب : مفال : ثقافة الجمال ، صحيفة القدس العربي ، العدد بتاريخ 3فبراير 2019.

67ـ سليمة غربي ، إلى أين وصلت نظرية الثقافة عند مالك بن نبي ، موقع الحوار، جريدة وطنية ، النشر ، 15،ماي،2018، تاريخ الزيارة 6،6،2024.

68ـ مصطفى محمود : جريدة الشروق اليومية الجزائرية ، العدد 5101.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات :

مقدمة ص1

الفصل الأول : ***جدل البعد الفلسفي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي***

ـ 1 ـ **المبحث الأول** : شخصية مالك بن نبي ، والجدل الذي أخذته في الوسط الفكري والفلسفي ـ المرجعية الدينية الإسلامية نموذجاـ ..... ص 12

ـ 2 ـ **المبحث الثاني** : مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي وعند غيره ، والمشاكل المحيطة في تعريفها ..... ص 27

الفصل الثاني : ***البعد الفلسفي الأخلاقي والجمالي في نظرية الثقافة لمالك بن*** نبي .

ـ 1 ـ **المبحث الأول** :علاقة فلسفة الأخلاق بالمشهد الثقافي.....ص41

ـ 2 ـ **المبحث الثاني** : التوجه الأخلاقي في نظرية الثقافة لبن نبي..... ص52

ـ 3 ـ **المبحث الثالث** : علاقة فلسفة الجمال بالمشهد الثقافي..... ص 56

ـ 4 ـ المبحث الرابع : المبدأ الجمالي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي... ...ص65

ـ الفصل الثالث : ***البعد الفلسفي العملي والصناعي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي.***

ـ1 ـ **المبحث الأول** : علاقة فلسفة العمل بالمشهد الثقافي..... ص 72

ـ 2 ـ **المبحث الثاني** : منطق العمل قي نظرية الثقافة لمالك بن نبي ص.... 83

ـ 3 ـ **المبحث الثالث** : علاقة الجانب الصناعي واليومي بالمشهد الثقافي.. ص 89

ـ 4 ـ **المبحث الرابع** :الجانب الصناعي في نظرية الثقافة لمالك بن نبي.. ص 97

ـ خاتمة .....ص 106

ـ **المصادر والمراجع** .....ص 113

ـ **فهرس المحتويات** .....ص 120